مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

ملحق العدد (٧٨)

أسلوبية الخطاب الأخلاقى فى الشعر الجاهلى
(المفضليات نموذجاً)

إعـــداد
د / محمد أبو الفتوح العفيفى
كلية الآداب – جامعة المنوفية

العدد الثامن والسبعون يوليو ٢٠٠٩
Web site:http : // Art.menofia . edu. eg *** E. mail : arts @ mailer . menofia . edu. eg

أسلوبية الخطاب الأخلاقي في الشعر الجاهلي

(المفضليات نموذجا)

د.محمد أبو الفتوح العفيفي
كلية الآداب – جامعة المنوفية

الإنسان كائن اجتماعي بفطرته ، وهذه الفطرة الاجتماعية جعلته صانعا للقيم وواضعا للمعايير السلوكية التي تضبط نظام حياته فيما تعارف عليه القوم باسم الأخلاق . وإذا كان هذا بالنسبة للإنسان العادي فإن الفنان ، وبخاصة الشاعر ، يعتبر المقياس الذي يمكننا من قياس مقدار الأخلاق في مجتمعه وزمنه ، وذلك من خلال شعره . والشعر في جوهره- كما ذهب أرسطو- : "يمكن أن يكون عمليا في أثره في أخلاق الناس ، وعلميا في شروحه لمنطق الحوادث ، فيمكن النظر إليه لذلك باعتبار نتائجه العملية والعلمية . وقد عالج أرسطو الشعر من الناحية التربوية في كتاب السياسة ، ودرس مواقف الشعراء وما يسوقون من حكم خلقية في كتاب الأخلاق"[1].

والشاعر الجاهلي كانت له المكانة العالية في قبيلته مما هيأ له ، إلى جانب وظيفته الإعلامية ، أن يكون المعلم والمربي والموجه الأخلاقي لقومه . ويكفي أن نلقي نظرة واحدة على معلقة زهير أو نونية ذي الإصبع العدواني أو بعضا من شعر أمية بن أبي الصلت أو غيره لنرى كيف أن الشاعر الجاهلي كان له الدور المُعلَّى في أخلاق قومه ، وكانت له أساليبه الخاصة التي يستخدمها في سياق حديثه عن الأخلاق .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن هذه الدراسة ترتبط بموضوع ومنهج ، وبينهما تبادل للعلاقات ، حيث يصبغ الموضوع المنهج بصبغته والعكس ، وقد آثرنا المنهج الأسلوبي لصلته القوية بأصول البلاغة العربية مما يجعله . منهجيا ، قريبا من تراثنا الشعري وبخاصة الشعر الجاهلي ومن أول مهمات البحث العلمي ، في اختياره لمنهجه ، المواءمة بين طبيعة الموضوع وخصائص منهج تناوله . لذلك نري من الضروري البدء بتناول تعريف مصطلح الدراسة الأساسي "الأخلاق" في الحقول المعرفية المتعددة .

التعريف اللغوي للأخلاق :

الأخلاق جمع مفرده الخلق ، والخلق هو "الخليقة أي الطبيعة ، ولايكسر على غير أخلاق ، والخُلُق والخُلْق بضم اللام وسكونها الدِّين والطبع والسجيَّة .وفي التنزيل(وإنك لعلى خلق عظيم)

---

1 – د. محمد غنيمي هلال– النقد الأدبي الحديث– نهضة مصر– ١٩٩٧– ص٤٦

ويقال : خالص المؤمن وخالق لافاجر ، وفي الحديث (ليس شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) . وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة"[٢] ولم تضف معاجم اللغة شيئا إلى هذا التعريف الذي جمع فيه ابن منظور أغلب ماقاله اللغويون . وكما نرى يتعالق هذا التعريف مع الأبعاد النفسية والاجتماعية والفلسفية لكلمة الأخلاق كماسيتضح فيما يلي .

التعريف النفسي للأخلاق :

في معجم علم النفس والتربية يُعرَّف الخلق على أنه "مجموع العادات والعواطف والمُثُل التي تميز الفرد ، وتجعل أفعاله ثابتة نسبيا ، ويمكن توقع صدورها عنه"[٣].

والعادة كما عرفها علماء النفس هي "نوع من السلوك المكتسب والقدرة على أداء فعل ما بطريقة آلية نتيجة التكرار"[٤] .

وأما العاطفة فهي عبارة عن "استعداد وجداني مركب ، وتنظيم مكتسب لبعض الانفعالات الموجهة نحو موقف معين تدفع صاحبها للقيام بسلوك خاص ، حيث إن الحياة الوجدانية ، عموما ، تتأرجح بين محورين هما اللذة والألم والتي تتخذكل واحدة منها صورة قريبة من ذلك ، وانفعالاتها الأساسية هي الفرح والحزن بكل مايتفرع عنهما من انفعالات أخرى"[٥]. ومن هذه العواطف الحب والكره والصداقة والعداوة والشفقة وغيرها. والمثل جمع مثال وهو "النموذج الذي ، عادة ، ما يكون صورة في منتهى الكمال للشيء أو الفعل"[٦].وتعتمد الأخلاق ، بشكل كبير، على العواطف ، وبخاصة عاطفة اعتبار الذات والتي "تنشأ بسبب التفاعلات المستمرة القائمة بين الفرد والمحيطين به"[٧]. وتعد هذه العاطفة "أساس الأخلاقيات ، إذ إنها تتضمن وجود معيار أو مثال بضعه الفرد نصب عينيه في كل

---

2 – يراجع : ابن منظور– لسان العرب– نسقه وعلق عليه: علي شيري– دار إحياء التراث العربي– بيروت– بيروت– ط١/١٩٨٨– م٤– ص١٩٤. والفيروزآبادي ، مجد الدين– القاموس المحيط دار الحديث– القاهرة– دت– م٣– ص١٢٩.و الجوهري ، إسماعيل بن حماد– الصحاح– تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار– دار العلم للملايين– بيروت– ط٢/١٩٧٩– ج٤– ص١٤٧١

3 – مجمع اللغة العربية– معجم علم النفس والتربية– الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية– القاهرة– ١٩٨٤–ص٢٦

4 – د. كامل محمد عويضة– علم النفس– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١/١٩٩٦– ص١١٩

5 – المرجع السابق– ص٨١–٨٢

6– د.يوسف حامد الشين– الفلسفة المثالية،قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها–منشوراتجامعة قاريونس– بنغازي– ط١/١٩٩٨–ص١٩

7 – د. إبراهيم عصمت مطاوع– علم النفس وأهميته في حياتنا– دار المعارف– سلسلة: اقرأ– ١٩٨١– ص٤٣

ما يصدر عنه من سلوك ، وهذه العاطفة تعد معنوية لأنها موجهة نحو المثل الأعلى للفرد أي ما يجب أن يكون وليس ما هو عليه بالفعل"[٨].

الأخلاق في علم الاجتماع :

لعل ابن خلدون كان من أوائل الاجتماعيين الذين أولوا مسألة الأخلاق اهتماما بالغا حيث نجده في مقدمته يتبنى فطرية الأخلاق وأن أساسها نفس الإنسان التي إذا كانت على الفطرة الأولى كانت "متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر ، قال صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، وبقدر ما يسبق إليها من أحد الخلقين يبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه"[٩].

وأهل البدو- عند ابن خلدون- هم أصحاب الأخلاق الحسنة الخيّرة كالشجاعة والكرم والحياء وغيرها من المكرمات التي يتحلّى بها أهل البادية ويسمون بها على أهل الحاضرة ، وذلك راجع عنده لأنهم "أقرب إلى الخير من أهل الحضر "[١٠] ، بل يذهب إلى أن المجد (المُلْك) له "أصل ينبني عليه وهو العصبية والعشير(الجماعة) وفرع يتم وجوده ويكمله وهو الخلال (الأخلاق) .. ومن اجتمع لهم العصبية والملك يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكَلّ وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الأموال في صون الأعراض"[١١].

وحين نطالع معاجم علم الاجتماع العصرية مثل "معجم كامبردج لعلم الاجتماع" نجد أن الأخلاق morality " مصطلح يشير إلى الأوامر والنواهي التي يجب أن نلتزم بها ، وكيف نتصرف في المواقف المختلفة . وكل المجتمعات تحتاج إلى قواعد للأخلاق ، لأن الأفراد لا يستطيعون تسيير حيواتهم بدون نماذج معيارية ترشدهم . ومن الخطأ فصل المعايير الأخلاقية عن المكان والزمان اللذين تتواجد فيهما"[١٢]. ويرى بعض علماء الاجتماع أن الأخلاق طبعية "جُبِلَ الإنسان عليها ومصدرها

---

8 - المرجع السابق- ص٤٦

9 - ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون- تحقيق:حامد أحمد طاهر- دار الفجر للتراث- القاهرة-٢٠٠٤-ص١٦٤

10 - المرجع السابق- ص١٦٤

11 - السابق- ص١٨٧

12 - The Cambridge Dictionary of Sociology - General Editor; Bryan S Turner- Cambridge University Press.P.401

النفس ، كما وجدنا عند ابن خلدون ، ويرى آخرون أنها مكتسبة من السياق الاجتماعي الـذي يوجـد فيه الإنسان ، ويرى بعض آخر أنها فطرية ومكتسبة في الوقت نفسه"[١٣].

وفي حين يذهب بعض علماء الاجتماع – مثل أوجست كونت– إلى نسبية الأخلاق ، يرفض المثـاليون ذلك لأن "تسبية الأخلاق انحدار نحو نفي الأخلاق برمتها ، فإما أن يكون الخير مطلقـا ، حـسب مـا يتصورون ، وإما أن ينعدم التمييز بين الخير والشر ، وليس هناك حل وسط"[١٤]. وعمومـا أصـبحت الأخلاق ، كما يدرسها علماء الاجتماع اليوم ، عبارة عن "دراسة وضعية لأنواع السلوك التي يـسلكها الناس في بيئة معينة وفي عصر معين ، محددة المشكلة الخلقية في أن يعمل الإنسان ما استطاع لكي تتغلب غرائز المودة بين الناس غلى دوافع الأثرة ، ولكي تتغلب النزعة الاجتماعية علـى الشخـصية الفردية"[١٥].

الأخلاق في الفلسفة :

كثر تناول المفكرين والفلاسفة لمسألة الأخلاق منذ القدم وحتى العصر الحديث ، وذلك لـدى مفكري العرب والغرب . فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يعرف الخلق بأنه "حال النفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار . والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا ، وفـي بعـضهم لا يكـون إلا بالرياضة والاجتهاد"[١٦]. ويذهب الفارابي (ت ٣٣٩هـ)إلى أن الأخلاق الفاضلة تقود إلى السعادة التي هي "الخير المطلوب لذاته .. والأفعال الإرادية التي تقع في بلوغ الـسعادة هـي الأفعـال الجميلـة ، والهيئات والملكات التي تصدر عنها هذه الأفعال هي الفضائل .. وهي خيرات لأجل السعادة ، والأفعال التي تعوق عن السعادة هي الشرور ، وهي الأفعال القبيحة"[١٧].

والإنسان– كما يرى ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) بحسب طلبه للفضيلة يكـون فـضله الـذي يتزايد بزيادة عنايته بنفسه وانصرافه عن الأمور التي تعوقه عن الفضيلة بجهـده وطاقتـه ، وهـذه الأمور هي "الأشياء البدنية والحواس ومايتصل بها ، والفضائل أنفسها ليست تحصل لنـا إلا بعـد أن

---

13 – يراجع: د.سميح دغيم– موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية فـي الفكـر العربـي– مكتبـة لبنـان– ط١/٢٠٠٠– ص٣٨ ومابعدها

14 – د.السيد محمد البدوي– الأخلاق بين الفلسفة وعلـم الاجتمـاع– دار المعرفـة الجامعيـة– الإسـكندرية– ٢٠٠٠– ص١٦٠

15 – المرجع السابق– ص١٥٤ و١٦١

16 – الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر– تهذيب الأخلاق– تعليق: إبـراهيم محمـد– دار الـصحابة للتـراث– طنطـا– ط١/١٩٨٩ص١٢

17 – الفارابي ، أبو نصر– كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة– تعليق: د.ألبير نـصري نـادر– دار المـشرق– بيـروت– ط٢/١٩٨٦– ص١٠٦

نطهر نفوسنا من الرذائل ، التي هي أضدادها ، وهي شهواتها الرديئة الجسمانية ونزواتها الفاحشة البهيمية"[18]. أما ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) فكان أكثر تفاؤلا حين رأى أن الخير مقصود بالذات والشر مقصود بالعرض ، وأن كل مافي العالم "هو لأجل الخير ولأجل غاية وأن وجود الشر هو قليل ، بل إن وجوده نفسه لأجل غاية ، فوجوده ضرورة تابعة لوجود الخير"[19]. ويذهب الإمام ابو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) إلى أن حسن الخلق لا يتم إلا إذا حسنت أربعة الأركان الباطنة ، وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل ..وقوة العلم ، فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال ، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة .. وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة ، وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة .. وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل"[20]. ومن اعتدال هذه القوى الأربعة تصدر أخلاق حسنة كثيرة أمها وأصولها أربعة هي "الحكمة والشجاعة والعفة والعدل .. ومن هذه الأصول تتفرع أخلاق أخرى ، فعن قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن .. وخلق الشجاعة يصدر عنه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والحلم والثبات وكظم الغيظ والتودد وأمثالها .. ويصدر عن خلق العفة السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والمساعدة وقلة الطمع .. وكذا العدل "[21] .

ولم يبتعد أصحاب المعاجم الفلسفية – قديما وحديثا- عن اللغويين والاجتماعيين والمفكرين في تعريفهم للخلق[22]. وفي المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا نجده يأخذ بالتعريف اللغوي ، والذي سبق تناوله ، ويضيف إليه بعض التقسيمات الفلسفية للأخلاق . يقول :"ونحن نطلق اليوم لفظ الأخلاق على المعاني التالية :١- الأخلاق النسبية ، وهي مجموع قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين .. ٢- الأخلاق المطلقة ، وهي مجموع قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان

---

18 - ابن مسكويه- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- تحقيق:ابن الخطيب- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط١/دت- ص١٨

19 - د. منى أحمد أبوزيد- مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية،دراسة مقارنة في فكر ابن سينا- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت- ط١/١٩٩١- ص٦

20 - الغزالي، الإمام أبوحامد- إحياء علوم الدين- تقديم: د.بدوي طبانة- مكتبة كرياطة فوترا- سماراغ- إندونيسيا- دت-ج٣-ص٥٢-٥٣

21 - المرجع السابق- ص٥٣

22 - يراجع في ذلك : الجرجاني ، علي بن محمد الشريف- كتاب التعريفات- مكتبة لبنان- ١٩٨٥- ص١٠٦ والكفوي ، ابوالبقاءأيوب بن موسى- الكليات- مؤسسة الرسالة – بيروت- ط٢/١٩٩٨- ص٤٢٩ ومجمع اللغة العربية- المعجم الفلسفي- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ١٩/٣- ص٨١

ومكان .. ٣- أخلاق المواقف ، وهي الأخلاق المبنية على تحديد المعطيات المعقدة الخاصة بكل حالة من حالات الحياة .. ٤- الأخلاق الساكنة المغلقة وتقابل الأخلاق الحراكية المتفتحة "[٢٣]. وفي موسوعة لالاند الفلسفية نجد الأخلاق "مجمل التعاليم المسلم بها في عصر وفي مجتمع محددين ، والمجهود المبذول في سبيل الامتثال لهذه التعاليم والحض على الاقتداء بها"[٢٤]. يضاف إلى ذلك تناول الفلاسفة ، منذ أفلاطون وأرسطو وحتى الآن ، لهذه المسألة . وقد أشارت المعاجم والموسوعات لجهودهم في ذلك .

ومن استقرائنا للتعريفات السابقة نلاحظ :

أولا- تنوع تعريفات الأخلاق في الحقول المعرفية المختلفة ، بل وقدمها ، يؤكد أصالة فكرة الخلق في النفس الإنسانية وتعمقها فيها .

ثانيا- وجود تقارب بين هذه التعريفات في حقول المعرفة المختلفة التي تناولت هذا المفهوم ، فالتعريف اللغوي يتعالق مع الأبعاد النفسية والاجتماعية والفلسفية لكلمة الأخلاق .

ثالثا- الأخلاق تعاليم ووصايا تحتاج إلى جهد ورياضة وتعويد للنفس حتى تصبح عادة وسلوكا متأصلا يمارسه الفرد بتلقائية .

رابعا- تحتاج الأخلاق إلى إقرار الجماعة الاجتماعية وموافقتها حتى تصبح أعرافا اجتماعية سائدة في زمن ما ومكان ما .

خامسا- تعدد الأشكال الخلقية وتراوحها بين السلب والإيجاب ، فكل قيمة خلقية إيجابية تقابلها قيمة سلبية .

سادسا- الأخلاق نسبية وتتغير بتغير المكان والزمان وما يقبل اليوم قد يرفض غدا ، وما يرفض في مكان ما قد يكون مقبولا في مكان آخر .

الأخلاق عند العرب

شأن العرب شأن غيرهم من الأمم ، لهم منظومة قيم خلقية تحكم حياتهم ، يتمسكون بها ، ويحاولون الدفاع عنها ، وهذا مايكشف عنه الشعر الجاهلي وتعكسه النماذج المختلفة منه . هذه القيم الخلقية أثرت فيها ووجهتها عوامل عدة ، ويمكن حصر هذه العوامل في :

ا- البيئة : وهي نوعان ؛ بيئة طبيعية أبرز ما يميزها جبال وصحراوات ومناخ وظروف فرضتها الطبيعة التي عاشها العرب قبل الإسلام ،فقد كانوا يسكنون بقعة صحراوية "تصهرها الشمس ، ويقل

---

23 - يراجع: د.جميل صليبا- المعجم الفلسفي- دار الكتاب اللبناني- ١٩٨٢-ج١/ص٤٩

24 - أندريه لالاند- موسوعة لالاند الفلسفية- تعريب:خليل أحمد خليل- منشورات عويدات- بيروت- ط٢/٢٠٠١- مجلد١- ص٣٧١

فيها الماء ، ويجف الهواء . وهي أمور لم تسمح للنبات أن يكثر ، ولا للمزروعات أن تنمو إلا كلأ مبعثرا هنا وهناك ، وأنواعا من الأشجار والنبات مفرقة ، استطاعت أن تتحمل الصيف القائظ والجو الجاف ، فهزلت حيواناتهم ونحلت أجسامهم"[٢٥]. ومثل هذه البيئة يسهم ، بشكل أو بآخر ، في تحديد نوع معيشتهم ، فهم رحّل يتطلبون الكلأ ، وهم فقراء ثروتهم في كثرة ماشيتهم ، وتلك الثروة تحت رحمة الطبيعة . وكذلك يحدد هذا النوع من البيئة نوع أخلاقهم وعقليتهم "أليس البؤس هو الذي جعل الكرم وإطعام الطعام ، وإيقاد النيران يهتدي بها الضيفان في مقدمة الفضائل؟ أوليس هذا الفقرهو الذي حبَّب إليهم الإغارة فأشادوا بذكر حمى القبيلة ، وعيَّروا من قصَّر في الدفاع عنها ، واسترخصوا النفوس في سبيل حمايتها؟ وإذا كانت الحياة بين إغارة ودفع مغير ، والسبل كلها غير آمنة ، ولاحكومة تقتص من جان أو تحمي طريقا ، أفليسوا إذا في حاجة لأن يعدُّوا الشجاعة والوفاء والعفو من كبريات الفضائل؟"[٢٦].وهكذا لعبت البيئة الطبيعية بمعطياتها دورا فاعلا في تشكيل منظومة الخلق العربي .

بيئة اجتماعية ينقسم المجتمع فيها إلى بدو وحضر . أهل وبر وأهل مدر ، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال وعرب الجنوب وعربجميع أنحاء جزيرة العرب . وقد قسم الدارسون عرب الجاهلية إلى ملوك وغير ملوك . وقسموا سائر الناس بعد الملوك إلى طبقتين ؛ أهل مدر وأهل وبر . فأما أهل المدن "فهم الحواضر وسكان القرى ، وكانوا يعيشون من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة"[٢٧]. وتميز الحضر من العرب في اخلاقهم بأنهم "أرقى من البدو كثيرا .. وقد أسسوا قبل الإسلام ممالك ذات مدنية كاليمن ، والغساسنة في الشام ، واللخميين في العراق"([٢٨]). واما البدو أهل الوبر فكانوا الأغلبية ، وكانوا ولايزالون"يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ، ويعيشون على ما تنتجه ماشيتهم .. يأكلون لحومها ، ويشربون ألبانها ، ويلبسون أصوافها"[٢٩]. وجميع أفراد القبيلة متضامنون أشد مايكون التضامن "ينصرون أخاهم ظالما أو مظلوما ، يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم .. إذا جنى احدهم جناية حملتها قبيلته ، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة ولرئيسها خيرها .. فوطنية البدوي وطنية قبلية لا وطنية شعبية"[٣٠]. ومن المعروف أن البدوي ضعيف التمسك بدين ما إلا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه ، ولذلك قال عنهم المولى – عز

---

25 – أحمد أمين– فجر الإسلام– دار الكتاب العربي– بيروت– ط١٠/١٩٦٩– ص٤٥

26 – المرجع السابق– ص٤٦

27 – د.جواد علي– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام– جامعة بغداد– ط٢/١٩٩٣– ص٢٧١

28 – أحمد أمين– فجر ألإسلام– سابق– ص١١

29 – المرجع السابق– ص٩

30 – السابق– ص١٠

وجل- : "الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم"[٣١]. وقد تركز مثل العربي الأعلى في الأخلاق "فيم سمّاه المروءة ، تغنّى بها في شعره وأدبه ، ومن الصعب أن تحدها حدا دقيقا ، ولكن يصح أن تقول : إنها تعتمد على الشجاعة والكرم ؛ أما شجاعته فتتجلى في كثرة من نازله وقاتله ، وفي مواقف دفاعه عن قبيلته ، وأكثر من هذا في نجدته ، وأما كرمه فيتجلى في نحر الجزور للضيف ، وإغاثة البائس الفقير ، وفوق هذا أن يعطي أكثر مما يأخذ ، وأن يغشى الغى ويعف عند المغنم"[٣٢].

٢- الدين : تعددت ديانات العرب قبل الإسلام ، حيث وجدت الوثنية التي اعتنقها أغلب العرب ، وكان لكل قبيلة "صنم أو جملة أصنام تقدسها وتتقرب إليها . وإلى جانب هذه الغالبية الوثنية كان هناك أقليات يهودية ، وكذا أقليات أخرى نصرانية ، إلى جانب بعض المجوسيين الذين تأثروا بالفرس وعبدوا النيران مثلهم ، والصابئة الذين اتخذوا من عبادة النجوم والكواكب دينا لها"[٣٣].

ومن المعروف أن هناك ارتباطا وثيقا بين الدين – أي دين- والأخلاق ، ومن المحتمل أن يكون التعرف على العادات الدينية قد تم قبل أن تتميز العادات الأخلاقية عن الدين ، ومن ثم يمكن القول إن تطور الأخلاق "إنما بدأ من خلال الدين .. وهناك اعتراف عام في الديانات العليا بأن إطاعة قوانين الأخلاق تحتل منزلة عليا بين الواجبات الدينية ، وقد علم الأنبياء العبرانيون ذلك عندما قالوا : إن الله يطلب من الإنسان أن يكون عادلا رحيما بدلا من أدائه للشعائر وتقديمه للقرابين ، وهناك رأي يقول بأنه كلما كان الفرد أو المجتمع متدينا كلما كان أخلاقيا"[٣٤]. وهذا ما أكده الرسول الكريم سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- حين حصر بعثته في إتمام مكارم الأخلاق ، يقول : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[٣٥]. إذن للدين دور كبير في تدعيم المقوم الأخلاقي لأي شعب من الشعوب ، وكذلك في توجيه سلوكياته وأخلاقياته ، ولذلك منذ القدم ومنذ زمن الأساطير "التي كانت تجعل الإنسان يؤمن بما وراء الظواهر الطبيعية"[٣٦] ، وحتى زمن الديانات السماوية التي تخلق مجتمعا ذا إطار أخلاقي موحد يسير في إطار هذه الديانات . ولاشك أن الإيمان "يضمن أن يمارس الإنسان السلوكيات التي يوافق عليها المجتمع ويبتعد عن تلك التي يرفضها هذا المجتمع نتيجة الضغط الذي يمارسه المتحكمون في

---

31 - التوبة / ٩٧

32 - أحمد أمين- السابق- ص١٠

33 - محمود عرفة محمود- العرب قبل الإسلام- عين للدراسات والبحوث- القاهرة- ط١/١٩٩٥- ص٢٠٥ وما بعدها

34 - وليام ليلي- مقدمة في علم الأخلاق- ترجمة:د.علي عبد المعطي محمد- منشأة المعارف- الإسكندرية-٢٠٠٠- ص١٣٠

35 - الأزهري ، محمد الدمشقي- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية- دار ابن كثير- بيروت- دت- ج١/ ص٧٣

36 - د.حسين الشيخ- العرب قبل الإسلام- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- ١٩٩٣-ص ٢٧

الأمور الدينية وما يلوحون به لهذا الإنسان من ثواب أو عقاب"[٣٧] . من هنا يمكننا الـذهاب إلـى أن ديانات العرب القديمة كان لها أثر بليغ على أخلاقهم . كل هذه المـؤثرات انعكـست فـي الموضـوع الأخلاقي خصائصَ أسلوبيةً متميزةً في الشعر الجاهلي عن سواها في الموضوعات الأخرى .

لماذا المفضليات ؟

كان لاختيار المفضليات موضوعا لدراسة الخطاب الأخلاقي في الشعر الجاهلي أسباب عديـدة أهمها ثلاثة :

السبب الأول : وثوقية الراوي/ المفضل الضبي ومروياته ، وإجماع أغلب الدارسـين علـى صحة هذه المجموعة الشعرية .

السبب الثاني : أن هذه المجموعة تشتمل على شعر لسبعة وأربعين شاعرا جاهليـا ، مـنهم أعلام كبار من مثل الشنفرى وتأبط شرا والمرقشين والحارث بن حلزة وعلقمة الفحل والمثقب العبدي وغيرهم كثير.

السبب الثالث : عدم وجود رؤية خاصة للمفضل الضبي في جمعه لهذا المجموع من الشعر ، مما يجعله عينة عشوائية مناسبة .

أسلوبية الخطاب الأخلاقي :

اهتم العلماء العرب الأوائل بدراسة الأسلوب في سياق تناولهم للنص القرآني ، وذلك فـي مباحثهم المتصلة بالإعجاز ، وهم يقارنون بين أسلوبه المعجز وغيره من الأساليب الكلامية الأخرى ، ولقد كان لعلماء متقدمين مثل الأخفش (ت٢٠٧هـ) والفراء (ت٢٠٨هـ) وأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) "الجهد الكبير في إثراء مفهوم الأسلوب في الشعر وجلاء أشكاله ، رغم تباين الأهداف التي سعوا إليها ، بين بلاغة الخطاب القرآني وإعجازه أو دفع طعون الملحدين في القرآن وعربيته"[٣٨]. وقد تبلـورت جهود أولئك العلماء وغيرهم فيما قدمه عبد القاهر تحت مصطلح النظم الذي أوشك أن يشكل به نظرية متكاملة تكاد تجعله "يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثير من مباحثه ، وخاصـة فـي الإمكانـات الاستبدالية والقدرة التوزيعية ، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة ، وانحرافها عن النمط المألوف ، وذلك

---

37 - المرجع السابق- ص٢٧

38 - د.محمد بلوحي- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية-
http://uqu.edu.sa/page/ar/86000

بإخضاعه المجاز لسيطرة النحو وعلاقاته التركيبية"[٣٩]،يقول عبدالقاهر: "وكذلك السبيل في كل شيء كان له مدخل في صحة تعلق الكلم بعضها ببعض ، لا ترى شيئا من ذلك يعدو أن يكون حكما من أحكام النحو ومعنى من معانيه"[٤٠]. ١

هذا الذي اتكأ عليه الجرجاني ، نجده يتعالق ، إلى حد كبير ، مع مقولات الأسلوبيين المحدثين الذين تأثروا بلسانيات دو سوسير في انتهاج الوصف والتحليل في مدارستهم النصوص الأدبية. ومن المعروف أن الأسلوب أسبق من الأسلوبية لأنه ارتبط منذ البداية بالبلاغة العربية أما الأسلوبية فانبثقت إثر ظهور لسانيات دو سوسير في مطلع القرن العشرين في حقل الدرس اللغوي حيث أثرت مقولاته في الدراسات الأدبية والنقدية ، وبذلك انتقلت الأسلوبية من مفهوم الأسلوب القديم المرتبط بالبلاغة والقائم على مبدأ الانتقاء والاختيار للمادة الأدائية إلى التحليل الأسلوبي المحض والتصنيف لها بحسب جماليتها الفنية ، من خلال اتخاذ لغة الخطاب مجالا للدراسة واستقرائها ، وبذلك تتغلغل الأسلوبية إلى دواخل وعوالم النص لاستنطاقه وكشف أغواره .

إن الأسلوبية تحاول إيجاد الخصائص الفنية والجمالية التي تميز نصا عن نص أو كاتب عن آخر من خلال "اللغة التي يحملها خلجات نفسه وخواطر وجدانه"[٤١]. وتتنوع مداخل التحليل الأسلوبي بتنوع الأسلوبيات من تعبيرية (بالي) ونفسية (سبيتزر) وبنيوية (جاكوبسون) إلى إحصائية (شبلز) وتلتقي كل هذه التنوعات عند الركائز التحليلية الثلاث : الاختيار والتوزيع والانزياح . ولا يختلف تطبيق هذه الركائز في النص الكامل ، أو في اختيارات نوعية من نصوص متنوعة ، فإذا كانت وحدة النص هي شرط التطبيق الأسلوبي ، فإن هذا الشرط يتحقق ، وإن بشكل مختلف ، حين يكون الاختيار معتمدا على أساس موضوعي يوفر قدرا مكافئا لما يتوفر في النص من التشابهات الأسلوبية القابلة للتحليل ، كما هو الحال في اختياراتنا من "المفضليات" : الخطاب الأخلاقي في قصائدها الجاهلية . إننا نزعم أن الموضوع الذي يوجه تلك الاختيارات يقوم بوظيفة مكافئة للوظيفة النصية في نص فردي .

أولا : أسلوبية محور الاختيار :

يمتلك كل فرد ، وكذلك الشاعر ، مخزونا معجميا يوقفه أثناء الكلام على عتبة الاختيار ، وعملية الاختيار ، غالبا ، يوجهها عاملان : فردية الشاعر ووجدانه الخاص وهذا أمر داخلي . وآخر اجتماعي

---

39 - د.محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- مكتبة لبنان والشركة المصرية للنشر لونجمان- القاهرة- ط١/١٩٩٤- ص٢

40 - عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- قرأه وعلق عليه: أبوفهر محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة- ١٩٨٤- ص٨

41- د.محمد بلوحي- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية- http://uqu.edu.sa/page/ar/86000

لغوي تفرضه القواعد والأعراف والعادات الشائعة عند الكتاب والمتلقين وهذا أمر خارجي .. ومحـور الاختيار "هو محور الكلمات .. وهو محور الممكنات والافتراضات .. وأداء المتكلم وإنجـازه اللغـوي يظهران في هذا المحور فعلا"[٤٢]. غير أن ما لم يتحدث عنه الأسلوبيون هو ضابط الفعل الإبداعي على محور الاختيار ، هذا الضابط – على وجه التحديد – هو موضوع الأداء ورؤية المبدع لهذا الموضوع (الأخلاقي في دراستنا) ، يقول د. محمد مفتاح :" .. وكذا الشعر فإن له أغراضـا متعـددة ، وكـل غرض يفترض وجود ألفاظ معينة تحقق بينها ، حين تركب ، نوعا من التماكن[٤٣] (يعني : التماسـك والانسجام ، وتبعد الانفصال والتباين"[٤٤] .. إذن ، فلدينا غرض يتحكم بمحـور الاختيـار ، فيـضبط أنماطا من علاقات التشاكل والاختلاف بين الكلمات المختارة ، سواء أكان هذا التشاكل وذاك الاختلاف على مستوى الدلالة أو على مستوى الصيغة الصرفية ومحمولها الدلالي العام ، الأمر الذي سـنتبينه من قراءة التوزيع الإفرادي للنماذج المختارة[٤٥] .

أولا : الأفعال :-

١- الماضي : أهلكت – صبرنا – أُلفَ – تخلّق – رفعتُ – زجرتُ – ألفيتنا – جمعـوا – أزِمَ – غلبتْ – أبقتْ – بنى – بنى – مكّنَ – قلّ – قلتُ – أكرمته – حُمّ – فضّلوا – عقـدنا – حُـبّ – أطعمتُ – فتحتُ – ألْفَوا – أعانهم – قمنا – بقينَ – نمتنا – أعددتُ – أزمتْ – سـقيتُ – دعـوتُ – هبّت – رآه – جاد – حاقتْ – أحرزَ – أدّى – تدافعت – أفضلتَ – أحللتَ – دُعيتَ – هلك – هلـك – هلكتْ – هلك – حلفتُ – صفا – نبا – رآها – هممتُ – هممتُ – أتتك – افتقرتَ – لقيتَ – أغناك – عرفتَ – لقيتَ – نزلوا – عزوا – كثروا – توجّهَ – تعرّضَ – طالت – أعددتُ – خفتُ – قلتُ – غبتُ – شتم – وُقِرَتْ – تعزيتُ – زعم – ظلم .

٢- المضارع : نعفَ – نريبُ – نكفَ – نقي – نخوض – نقيم – أزاحم – ألين – أجـازي – أداوي – أجعل – أنحر – يخرج – ألين – أجازي – يجازيني – أستشيرها – نقي – يسقون – تذهب – يعفوهم – يُحبّى – يرجو – يركبا – أجعله – يأوي – يأوي – نُرْسـي – أكـسب – أهتـكْ – يلـذّ – يتهضّما – يُهاب – نختطم – نستعصي – نخطما – أذيق – يشتكي – أجود – أُزْهَى – نسيلُ – أجـيءُ – نعطي – نغفر – نسود – تحملنا – يحمي – يقول – يفعلا – ينتقلا – يأمن – أحيّي – أعطي – أفعل – أمنع – نُهبى – نأسو – يأتي – يبيت – يجعل – يبالي – أجعل – يشتري – تُفْقَد – يكذبُ – تبقى –

---

42 – د.منذر عياشي– الأسلوبية وتحليل الخطاب– مركز الإنماء الحضاري– بيروت– ط١/٢٠٠٢– ص٨٢

43 – تعبير المؤلف ، وما بين قوسين استبدال الباحث .

44 – د.محمد مفتاح– في سيمياء الشعر القديم– دار الثقافة– الدار البيضاء–١٩٨٩– ص٤٣

45– راجع مدونة الدراسة في الملاحق .

يدري – يبقى – يجعلُ – يسألُ – يروك – يرحل – أفعل – ترجو – يروك – تُصبِك – تشاجر – يَسروا – يُشترى – يلعبون – يُستراد – يزجرها – تسمع – تُردْ – يتّق – يذمّ – أُكرم – تراني – يكشر – يلقّاني – يرى – يردّ – يلق – يحمد – يعفو – يعدمْ .

٣- الأمر : اسألي – أثنوا – قومي – حيّينا – اسقينا – ادعينا – طأْ – احلبْ – اعجلْ – اتقه – أوف – تحلّل – أكرمْه – اعلم – دع – صل – احذرْ – اترك – تحوّل – اتئدْ – افعل – اقرص – اضرب – استغنِ – تجمل – استأن – توكل – اعمد – أعنهم – أيسر – انزل – ابدأ – اصبر – اعلم – أجمل .

٤- النهي : لا تكُ – لا تَحلُلِ – لا تقل – لا تكن – لا تقولن .

٥- المستقبل : .

الماضي	المضارع	الأمر	النهي	المستقبل
٧٣	١٠٥	٣٥	٥	٠

نلاحظ من هذا الجدول أن الفعل المضارع يأتي أولا بالنسبة المشار إليها ، ويليه الماضي فالأمر ، وأخيرا النهي ، بينما يغيب المستقبل تماما عن مدونة الدراسة .

وتعتمد هذه النسبة بتراتبها على واقع الحياة العربية في العصر الجاهلي والتي ارتكزت إلى منظومة خلقية لا تنفصل ، عند العربي عن نسبه وحسبه ، فإذا كان المتكلم/ الشاعر هو القائم على الفعل الخلقي(١٠٥) فإن هذا الفعل يمتلك أصالته من ماضيه (٧٣) . وتقل هذه النسبة إلى أدنى من النصف في فعل الأمر (٣٥) نظرا لكون تلك المنظومة متواطأ عليها من الجميع ، وهو ما يبرر تضاؤل نسبة الفعل المنهي عنه (٥) وذلك لاستبعاد الشاعر أن يتورط عربي في فعل يذم به . أما غياب الفعل في زمن المستقبل فهو أمر منطقي تماما لأننا في مجال الفخر بالأخلاق نفخر بما يكون وما كان ، أما ما سيكون فلا مجال له في هذا السياق إذ لا أحد يفخر بما سيفعله غدا ، وبتأمّل سريع للفعل المنهي عنه نلاحظ أنه من الأفعال ذات الدلالة العامة غير المخصصة بموقف ، وموقف خلقي على وجه التحديد كفعلي : القول والكينونة ، وقريب من فعل القول في العمومية النهي عن الحلول في مكان السوء .

الأسماء

١- الجامد : – هو ما لم يؤخذ من غيره . أي " وضع على صورته الحالية ابتداء . فليس له أصل يرجع إليه وينسب له ، مثل : شجرة وقلم وأسد وحجر .. ومثل : فَهْم ونبوغ وذكاء وسماحة . والجامد قسمان : اسم ذات ، وهو ما يدل على شيء مجسم محسوس .. ولها كيان مجسم يدخلها في

دائرة الحس كالأمثلة الأربعة الأولى . واسم معنى وهو ما يدل على شـــيءعقلي محـــض أي شـــيء معنوي يدرك بالعقل ولا يقع في دائرة المحسوس"[٤٦].

أ- اسم الذات : أندية – ألوية – آفاق – مالا – مالنا – دار – بيوتنا – مالي – الليـــث – الجـــزور – المطي – القناة – ابن – امرئ – باب – لسان – خلائق – أقوام – ناري – كلابي – أموالنا – مالهم – رحم – حجابا – آباؤنا – قومي – بيوتهم – سلما – الحيّ – أخو – زادي – زادي – باب – امـــرؤ – أباهم – أعمام – جدود – بيت – سبيلنا – قوم – دار – ابن – فروع – قومك – النـــاس – النـــاس – أموالنا – آثار – أيدينا – الناس – الملوك – أكفهم – ذراع – بيتك – خليج – ليث – القوم – سلاحهم – الجفنة – المال – المال – المال – مالهما – ابن – أخو – "تضل" – "قران" – "أبو عمـــرو يزيـــد" – امرؤ – رجال – امرؤ – مال – المرء – للشيء – أركانها – امرؤ – ألبانها – اللبن – حبال – دار – داره – القوم – فؤادك – أكفهم – قاع – قوم – أثافي – الأقوام – المال – المال – صوف – الناس – للغربان - حصن – اللحاء – للحوم – حد – السنان – لسان – رمحا – القناة – للـــسيف – للفتـــى – الفتى – بيتي – "معدّ" – الذرى – الهامة – الفرع – لحوم – الناس – السبع – الناس – أذني – الناس – شآمية – القُتار – عصبة – العشيرة – العشيرة – أهله – أهليه – القوم – الحارثين .

ب- اسم المعنى :غايات – مجد – شح – نفوسنا – أحسابنا – غمرة – الحفاظ – مجـــد – الـــصبر – سجية – الحياة – سبّة – نعمة – حويس – داء – العز – حسب – عز – الدنا – غرضا – تصريف – محافظة - القسر – الهون – شيمته – أخلاقا – غلق – خيري – حب – خليقتي – الضغينة – عفافـــة – كرم – نفوس – خير – عمارة – ندى – سماحة – الشتاء – الرحيق – سماحتهم – كثرة – لزبات – دهر – السوء – حباتهم – عزا – العدم – الردى – آثاما – تراث – دعائم – مجـــد – جرثومـــة – مجد – حضرمـ – بناء – مكانا – حدث – مهابة – العزة – القعساء – العدى – رأفتي – إحـــاطتي – العداة – ليل – انلا – سهلا – مرحبا – نفسه – عورة – حفاظ – يوم – الكريهة – قربى – خشوع – كبر – حرمة – حرب – المجد – الحسد – خلات – الوفاء – سوءات – مكرمـــة – مجـــد – كـــرم – أرومة – حقها – حنقها – ذنبها – ثقلها – جرأة – نجدة – خير – خير – سياسة – بقيات – الحفاظ – إقامة – أحلاما – امتناع – المجد – الروع – ندى – حياء – اليسارا – الحرب – جلبـــة – خيـــر – جلّى – مكرمة – خير - الجميع – وعواع – ظلم – الندى – الهنء – عطايا – العرض – الـــنفس – تلف – عرضي – جنة – خير – الذمم – غاياتهم – سبقا – السبق – البقاء – الحمد – الحمد – أثمان – الغرم – بعل – أرملة – الجلّى – خير – نفسه – الفقود – تقواله – الحتوف – شر – نذره – حق – لغة – ليلته – وده – السوء – الهوان – أمر – شر – أمر – خيـــر – العـــدو – طـــلاء – الغنـــى –

---

46 – عباس حسن– النحو الوافي–دار المعارف بمصر– ط٣/ ١٩٧٤– ج٣/ ص١٨٩

خصاصة – حلمك – أمورك – الهوى – أمران – الندى – ضيق – الشر – الحمد – ثمن – الجـود – البخل – قرار – يوم – الغنم – الجهل – عرض – الحلم – آونة – سلامته – دعائمه – عرضا – وقع – الوغد – شيء – قول – الندم – نجاح – الخلف – ذم – نقص – الذم – حقه – عرفان – الحـق – كرم – شر – كلام – صمم – خشاة – الصفح – الإعراض – الخنا – العيش – رزقـك – التـرقيح – شروى – خيرا – أمره – الغي .

٢- المشتق :- وهو ما أخذ من غيره ؛ بأن يكون له أصل ينسب لـه ، ويتفـرع منـه ، ويتردد ذكر المشتق أحيانا باسم الوصف أو الصفة ، وهذان غير الوصف أو الـصفة المـراد منهمـا النعت"[٤٧] . ومن الصيغ المشتقة المترددة في مدونة الدراسة :

أ- اسم الفاعل : آمن – مبتاع – باغي – حماة – معمل – شَرْب – الكرام – صائر – منطلق – هُضُم – المستجير – المستعيض – طارق – الروافد – حامد – الساعي – ذائد – مُرْدي – دُفّاع – نُـضّار – كرام – مُدّخِر – جار – جادٍ – مُنْفِد – حُشُد – ماجد – حُماة – جاري – المجحفات – عفّ – سُـراة – المطعمون – متراكم – الآذيّ – دُفّاع – المعطيان – الجار – المُضيم – حامل – مفيد – معرضا – باقيا – واقيا – الوالج – ماريا – مخبر – القوارص – العُزّل – المُواصل – الخائن – المتبدل – راحـل – قوارص – متخشّع – فواضل – مُفْضِل – الباهشين – ممحِل – نافية – باق – واف – نائبات – سابغة – الجار – راتعا – جاهل – آتٍ – لائما .

ب- صيغ المبالغة : سباق – حمال – شهاد – قوال – جواب – ورِع – نحّار – وقاف – ندود – ترّاك – طَنّزين – طِوال – تليد – قروم – صليب – نزقا – بريئا – طويل – عـسول – صـلبل – لُطـم – الضُرم .

ت- صفة مشبهة باسم الفاعل : أصهب – أشمّ – أوّل – أشعث – شعث – أجرب – غبر – أشم – أشم – صعب – حلو – مر – أبيّ – نكسا – أبي – أبي – أبي – أبي – أبيين – عف – يـسر – سـمح – كريم – رفيع – قديم – الأكفاء – سيد – سيدا – سيد – الجزيل – الكثير – ربعي – حسن – جمـة – طيب – كثيرة – عريفهم – أيسار – كرام – الجواد – اللئام – حليف – بخيل – لبيق – سيّد – قديمـة – خيار – جياد – حسن – سيّيء .

ث- أفعل التفضيل : أشجع – أطول – أربط – أكثر – أجدر – أجود – أشجع – أعف – أجمل – أبقى – الأباعد .

---

47 – عباس حسن- المجع السابق- ج٣/ص١٨٢

ج- اسم المفعول : محكمة – منسوب – ممنون – مشهورة – مورود – ملبونة – موجودا – مُنعَم – مُخْذَر – مُتْرَع – الحميد – مُهْمَل – مرجوم – معلوم – مذموم – مجلوم – مُطْعَم – مُطْعَم – المحروم – محروم – معدوم – مشئوم – مهدوم – عضْباً – صقيلا – قبيح – فتيل – الصديق – غُمْر – الخليل – الضيف – أضيافك – الضيف – الضيف – الصديق – صديق – ذليل .

ح- اسما المكان والزمان : مأوى – مبيته – مراصد – مجلسه – مبيته – مبيت – محل – منـزل – مجلس – معلم .

خ- اسم الآلة : مِزْحَم – مراجلنا .

جامد		مشتق					
اسم ذات	اسم معنى	اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	أفعل التفضيل	اسم المفعول	اسم زمكان	اسم الآلة
١٢٣	٢٠٨	٦٩	٢٢	٥٠	١١	٣٧	١٠	٢

في استعراضنا لمدونة الدراسة وجدنا أن الموضوع الأخلاقي تجلى من خلال قصائد الفخر بنسبة عالية . والفخر- في حد ذاته- اسم معنى ، ولذا جاء أغلب ما تعلق به أو عبر عنه أسماء معاني وهو مايتضح لنا في الجدول السابق الذي امتلك فيه اسم المعنى أعلى نسبة حضور (٢٠٨) . وكما سبق القول بأن الأخلاق عند العربي لم تكن أمرا محدثا وإنما كانت ترتد إلى ماض تليد ، وبالتالي لم يكن من المستغرب أن تكثر في أسماء الذات (١٢٣) كل مفردات القرابة ؛ بدءا من أشد المفردات تعميما (جرثومة) إلى (ابن) مرورا بكل ما بينهما وما يتعلق بهما ، كما سيتضح في الحقول الدلالية التالية .. وبالنظر إلى الأسماء المشتقة فإننا نلاحظ ان اسم الفاعل وتوابعه ؛ صيغ المبالغة والصفة المشبهة به قد وردت بأعلى نسبة (١٤١) ، ومن المعروف أن اسم الفاعل "جريانه على مضارعه الذي بمعناه .. ولهذا يمكن أن يحل محله المضارع "[٤٨] ، وكذلك صيغ المبالغة بنصها الصريح " أكثر مبالغة وأقوى دلالة في معنى الفعل "[٤٩] .

ولا تختلف الصفة المشبهة باسم الفاعل في هذا الأمر حيث " إنها مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم فحقها لأن تكون كفعلها ترفع فاعلها حتما ، وقد تنصب معمولا يسمى الشبيه بالمفعول به "[٥٠] ، فالتشابه بين هذه الصيغ الفاعلية والفعل المضارع واضح من جهة الوظيفة . وبناء على

---

48 – عباس حسن – المرجع السابق- ج٣/ص٢٤٨،٢٤٧

49 – المرجع نفسه- ج٣/ص٢٦١

50 – المرجع نفسه- ج٣/ص١٩٤

ذلك توسل الشاعر الجاهلي في تعبيره الأخلاقي باسم الفاعل وتوابعه فأفادته هذه الصيغ في إضافة دلالة التجدد والحدوث ، إضافة إلى الكلمات المفردة سواء أكانت أسماء ذوات او معاني مما أبرز توطد البعد الأخلاقي في شعرهم الذي جسد توطده في حياتهم . أما بالنسبة إلى الكلمات التي جاءت على أفعل التفضيل فيلاحظ عليها تمتعها بسمتين ؛ أولاهما أنها جميعا مشتقة من أسماء معاني ، وثانيهما قلة عددها قياسا على الصيغ السابقة فضلا عن الوظيفة التمييزية لصيغتها . أما كونها أسماء معانٍ تقيم علاقات ربط دلالية بينها وبين أسماء المعاني في الأسماء الجامدة الأمر الذي يؤسس لانسجام خطاب التعبير الأخلاقي على مستوى الصيغ مبدأيا ، وهو ما يفسر قلة عددها . ومن جهة أخرى ، فإن قلة عددها يعود إلى أن صيغة "أفعل التفضيل" تقوم بوظيفة تمييزية على مستوى النسبة ، وليس على مستوى القيمة نفسها .

وكأن الشاعر الجاهلي – في معرض الفخر بأخلاقياته – لم يحبذ هذه الصيغة التي تشرك الآخر في القيمة الخلقية ، وإن بنسبة أقل . وإذا ما جئنا إلى أسماء المكان والزمان لوجدناها جميعا تمثل حقلا دلاليا واحدا هو المكان الشخصي/الحميم ، الأمر الذي يجعلها تتضافر علائقيا ودلاليا مع أسماء المعاني المرتبطة بحقل القرابة من قبيل : أحسابنا – أنسابنا – جرثومة – أرومة .. إلى آخره . وكأن حقل المكان الشخصي يعمل على إعطاء حقل القرابة بعدا ماديا ، إنه يجسدها ، أو يمنح معناها ما تتمتع به أسماء الذوات من حضور مادي .. أما اسما الآلة (مزحم– مراجلنا) فإنهما يلتحقان دلاليا بأسماء معاني تتصل بصفتي الشجاعة والكرم .

المعجم الشعري للأخلاق :

سبق القول إن الاختيار ليس فاعلية مطلقة للمبدع ، بل تشترك وفاعليته هذه فاعليات أخر ، منها ماهو مقامي متعلق بالسياق ، ومنها ماهو مقالي متعلق باللغة المعتمدة لأداء هذا الموضوع ؛ أحد مكونات السياق ، وتحديدا في الاتجاهات التقليدية ، ومنها ماهو نصي متعلق بالعلاقات الممكنة بين المفردات[٥١] . لذا فإن حصر مفردات نص ما يبين أسسا ثلاثة للتحليل النصي على المستوى الإفرادي : الأول : بناء الموضوع ؛ الحقول الدلالية . والثاني : بناء التصورات الاجتماعية عن الموضوع ؛ محتويات الحقول الدلالية . والثالث : توابع محتويات الحقول الدلالية .

أولا : بناء الموضوع ؛ الحقول الدلالية :

---

51 – يراجع: د.سعد مصلوح– في النص الأدبي ؛ دراسة أسلوبية إحصائية– كتاب النادي الأدبي بجدة٦٥/١٩٩١– ص٧٦

الحقل الدلالي Semantic Field هو" مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها . مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية ، فهي تقع تحت المصطلح العام لون وتضم ألفاظا مثل : أحمر ، أزرق ، أصفر ، أخضر ، أبيض .. الخ ، وعرفه Ullmann بقوله :هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة"[٥٢].

من الواجب الالتفات إلى فارق في غاية الأهمية بين "الحقل الدلالي" مطلقا والحقل الدلالي المرتهن إلى موضوع subject كما هو الحال في هذه الدراسة . على سبيل المثال : "المكان" الذي يمثل مفهوما جزئيا يرتبط بنوعية من المفردات قد يهملها الحقل الدلالي العام أو ينسقها تحت تصنيف آخر مختلف ، غير أنها شديدة الارتباط بموضوع الأخلاق وتحديدا في الشعر الجاهلي . وعلى أساس الاختلاف بين الحقل الدلالي العام والحقل الدلالي المتعلق بموضوع ، فقد قسمنا الحقل الدلالي للأخلاق في مدونة الدراسة إلى حقول صغرى هي : الصفات (وامتداتها) وهي الدالّة دلالة مباشرة على الأخلاق. إلا أن الشاعر الجاهلي خصوصا ، والإنسان الجاهلي عموما ، كان يرى إلى الأخلاق باعتبارها مواريث ، وليست مجرد سلوك شخصي فردي فحسب ، وبالتالي فكان الحقل التالي هو "الأصول" وامتداداتها . ولكي يزيد هذه الرؤية رسوخا وتأكيدا ، ربط بين الحقلين السابقين وحقل "المكان" ، وهكذا اكتمل لنا الحقل الدلالي العام للأخلاق في مدونتنا ممثلة في حقول صغرى هي : صفات (تكرارات وامتدادات) وأصول (تكرارات وامتدادات) ومكان (وتكراراته) كما يتضح من الجدول التالي :

جدول الحقول الدلالية في مدونة الدراسة

ح صفات	ك	امتدادت	ح أصول	ك	امتدادات	ح مكان	ك
مجد	١٠	تراث – آثار – هامة – غايات – عز(٥) – دعائم(٢) – خضرما – القعساء – كبر – حرمة – ثقلها – سبق(٣) – بقاء(٢) –كثرة(٢) – أشم(٣) – أبيّ(٥) – سيّد(٤) – تليد – مهابة .	جرثومة	١	جد (١)– أب (٢) –	دار	٤
			أرومة	١	ابن (٢) – أخ (٢) –	بيت	٥
			نسب	١	عم (١) – أهل (٢)	منزل	١
			حسب	٢	– قربي (١) –	محل	١
					عصبة (١) – عمارة	مجلس	٢
					(١) – فرع (٢) –	حصن	١

52 – د.أحمد مختار عمر– علم الدلالة– عالم الكتب– القاهرة– ط٥/١٩٩٨– ص٧٩

كرم	٧	خير(١١)- جود(٤)- ندى(٤)- الضيف(٤)-سماحة(٣)- زادي(٢)- لبن(٢)- لحم(٢)- نعمة- عطية(٢)- حباء- الهنء- مطعم- مفضل- إحاطة- أهلا- سهلا- مرحبا- الجزور- ناري- كلابي- الجفنة.			عشيرة (٢) - قوم (١٤)- قروم (١)- رحم (١).	ركن	١
						حي	١
						نادٍ	١
						مأوى	١
						مبيت	١
شجاعة	٢	حرب(٣)- جرأة- نجدة- امتناع- زائد- حماة- واقيا- أطول- أربط- أجدر- حمّال- ألوية- القناة(٢)- ليث- سلاحهم- السنان- رمحا- للسيف- السبع- جُلّى.					
وفاء	٢	الحفاظ(٤)- جنة- حمد(٥)- عرفان- الذمم- صديق(٢) .					
صبر	٣	الصفح- الإعراض- رأفة- يُسْر- الحلم .					
عفة	٣	عِرْض(٤)- حياء.					

ح = حقل دلالي ، ك = تكرار

إن الكلمة مفردة لا تدل ، أو أنها – في أفضل الأحوال – ذات دائرة دلالتها أكثر سعة من أن تتمكن بذاتها من أن تحدّد ما تدلّ عليه ، ومن ثم كانت الأهمية القصوى للسياق في تحديد التي للكلمة ، على حد قول "ستيفن أولمان"[٥٣] .. السياق عند "أولمان" سياقان : "لغوي" و"مقامي"[٥٤] ، أما المقام ، فإن معظم مقامات مدونة الدراسة في "المدح" أكان للغير الحي (المدح الخاص) أم للغير الميت (الرثاء) أم للذات (الفخر) أو للميت رثاء ، وقليل جدا منها في الحكمة ، ونظرا لأن هذا المدح لا يكون إلا بقيم اجتماعية عامة : "أخلاق"[٥٥] ، فإن مقام الحكمة لا يبعد كثيرا عن المقام السابق ، وهل الحكمة إلا أعراف اجتماعية تواضع الناس على صحتها . إذن ، فالمقامان يمتلكان قاعدة اجتماعية

53- راجع : ستيفن أولمان – دور الكلمة في اللغة – ترجمة: د.كمال بشر – مكتبة الشباب – القاهرة – د.ت – ص : ٥٧

54- المرجع نفسه – الصفحة نفسها .

55- يقول قدامة بن جعفر : "إنه لما كانت فضائل الناس .. على ما عليه أهل الألباب ، من الإتفاق في ذلك ، هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا ، والمادح بغيرها مخطئا" – نقد الشعر – تحقيق وتعليق : د.محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت – ص : ٩٦

مشتركة ، ومن ثم يؤسسان لحاضنة مقامية واحدة لدلالة كل المفردات السابقة ، بما يؤسس لدرجة من الانسجام الدلالي بانتظار المحددات الأكثر حسما في دلالة المفردة ، وهو السياق اللغوي .. هذا السياق اللغوي الذي يستثمر درجة الانسجام المقامية ، ليعمل على التمييز بين صنفين من المفردات :- الأول : يدل بذاته وبشكل محدد معجميا على المنظومة الخلقية الأساس ، ويمثل حقل الصفات وامتداداتها . والآخر : يتصرف به سياقاته اللغوية ليقارب الصنف الأول مقاربة شارحة ، وتمثله بقية محتويات الحقل الدلالي للأخلاق ، من أصول وأماكن وامتداداتهما . والعلاقات الدلالية بين الصنفين شديدة الوضوح ، وتبلغ من القوة حدا يمكن وصفها بالعلاقات المنطقية . وهكذا ، تتحقق أعلى درجات الانسجام بين مفردات الحقل الدلالي وكل ما يحيط بها من أسماء وأفعال ، إلى حد أن عددا قليلا من الصفات : خمس صفات قد تمكن من استقطاب كل محتويات الحقل الدلالي . إن هذه الصفات – بالرغم من قلة عددها – تمثل جماع الأخلاق التي لا تختلف من الجاهلية إلى الإسلام ، أو من العرب إلى سواهم ، إنها صفات جامعة إذا صح القول . وبالرغم من هذه الصفة الأخيرة ، فيمكننا تمييز الأكثر عمومية فيها من الأقل .. إن صفة "المجد" – كما نص المعجم (هامش ٥٣)– صفة جامعة لكل الصفات الخلقية من كرم وشجاعة وصبر ووفاء وعفة . إننا إزاء بنية شمسية مركزها مفردة "المجد" ، وتدور حوله خمس صفات خلقية . وإذا لم يكن المجد صفة خلقية ، فإن تلك الصفات – في عرف العربي – لا يمكن أن تصدر إلا عن ماجد ، والمجد – في المعجم – تراث آباء ، أما الصفات فهي سلوك الأبناء الصادرة عن هذا التراث . ولنتأمل المخطط التالي ، ونقرأ الأبيات النموذج والتي يمكن توزيع أبيات المدونة جميعا تحتها :

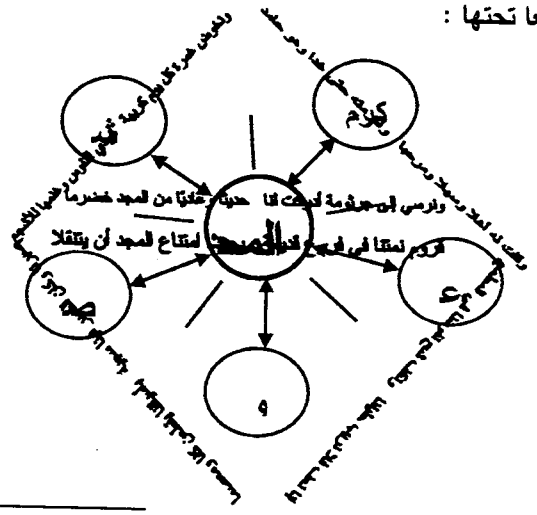

(٥٦) _____

56- الأبيات في المخطط كالتالي :-

المجد : قروم نمتنا في فروع قديمة... بحيث امتناع المجد أن ينتقلا (خراشة بن عمرو العبسي) =

هذه البنية الشمسية للصفات تستقطب إليها جميع مفردات حقل الأخلاق الدلالي ، فضلا عن إعادة توزيعها لمعجم المدونة كله من أسماء وأفعال .

أسلوبية محور التوزيع

بناء على ما سبق فإن الكلمة على محور الاختيار تدخل إلى محور التوزيع موسومة ، فقط بانتظار التركيب الذي يمكنه من توظيفها أسلوبيا . والمقصود بالتركيب هو الجملة . والجملة ، عند بعض النحويين مثل ابن جني والزمخشري ، هي" اللفظ الدال على معنى تام يحسن السكوت عليه"[٥٧] .. هذا تعريف عام للتركيب/الجملة، إلا أنه على المستوى الأسلوبي ، فالعلاقة الإسنادية القائمة بين ركني الجملة الأساسيين : الموضوع/المسند إليه والمحمول/المسند يعيد ترتيب المكونات الدلالية ، أو بعضها ، لأحد هذين الركنين أو كليهما . فقول "الخصفي عامر المحاربي" :

ونرسي إلى جرثومة تركت لنا ∴ حديثا وعاديا من المجد خضرما[٥٨]

فالفعل "نرسي" متعدي إلى مفعول واحد تم حذفه ، وتقديره : نفوسنا ، دلّ عليه حرف المضارعة : "النون" الدالّ على ضمير المتكلمين . والأهم أنه عومل معاملة الفعل اللازم ثم عدّاه بحرف الجر : "إلى" لتصبح دلالة الفعل : "رسا" من دلالة الثبات والرسوخ التي لها في المعجم ، سواء للجبال أو السفن أو قدم الإنسان ، إلى دلالة الإثابة والعودة إلى الأصول منجاة لهم ومستقرا ، كلما اختلفت الحوادث على الناس فتحيّروا ماذا يفعلون ، وكأنهم يتطاوحهم الموج .. كل هذا بفضل حرف الجر إلى ، وكذا تقدير المفعول المحذوف من قبل المتلقي تأكيدا للمعنى .

ومثل البيت السابق قول "الشنفرى" :

أبيٌّ لما آبى سريعٌ مباءتي ∴ إلى كل نفس تنتحي في مسرّتي[٥٩]

حيث نرى حرف الجر "في" قد عدّل من دلالة الانتحاء ، فبدلا من أن تكون دلالته خارجية تصبح دلالة داخلية بدليل الظرفية في هذا الحرف .

= ونرسي إلى جرثومة تركت لنا ... حديثا وعاديا من المجد خضرما (الخصفي عامر المحاربي) .

الشجاعة : ونخوض غمرة كل يوم كريهة ... تردي النفوس وغنمها للأشجع (الحادرة) .

الصبر : صبرنا وكان الصبر فينا سجية ... بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما (الحصين بن الحمام المري) .

الوفاء والعفة : إنا نعف فلا نريب حليفنا ... ونكف شح نفوسنا في المطمع (الحادرة) .

الكرم : وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... وأكرمته حتى غدا وهو حامد (ضمرة بن ضمرة النهشلي) .

57- د.علي أبو المكارم- الجملة الفعلية- مؤسسة الختار للنشر والتوزيع- القاهرة- ط١/٢٠٠٧- ص٢٢

58-المفضل بن محمد بن يعلى الضبي – المفضليات – تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – دار المعارف – القاهرة – ط : ٦ – د.ت – ص : ٣٢٠

59- المفضليات – ص : ١١٢

ومن هذا أيضا قول "عبد قيس بن خُفاف" :

إذا لقيت القوم فاضرب فيهُمُ ∴ حتى يروك طلاء أجرب مهمل [٦٠]

فالفعل " اضرب" متعدي للمفعول ولكن الشاعر هنا يجعله لازما ويعديه لمفعوله بحرف الجر "في" ، وذلك ليكسب الضرب دلالة إضافية تجسد شدته وقسوته ، إلى الحد الذي يجعل الفوارس تتحاشاه كما تتحاشى البعير الأجرب .

ويضاف إلى التغيير في ترتيب المكونات الدلالية ، ظاهرة أخرى هي مضاعفة دلالة أحد مكونات الجملة ، وذلك ماتراه في قول "الحادرة"

إنا نعف فلا نريب حليفنا ∴ ونكف شح نفوسنا في المطمع [٦١]

إن أصل الدلالة المعجمية للعفة اجتناب المحارم من النساء ، والشاعر باستخدامه الفعل : نعف ، يقيم تسوية بين حفاظه على محارمه (عفته) وبين حفاظه على عهوده وتحالفاته ، ويؤكد هذه الدلالة باختياره للفعل الثاني : نريب .إن اختيار كلمة ما ، أكانت فعلا أم اسما ، يُخْضِع السياق لعملية تأويلية، كما يفعّل السياق لممارسة العملية نفسها على الكلمة وهو ما نلاحظه في التبادل الدلالي بين : "نعفّ" و"لا نريب" من جهة ، وبين "حليفنا" من جهة أخرى .. وشبيه بذلك قول "حاجب بن حبيب الأسدي":

والمعطيان ابتغاء الحمد مالهما ∴ والحمد لا يُشترى إلَّا بأثمان[٦٢]

وكذلك قول علقمة بن عبدة التميمي :

والحمد لايشترى إلاَّ له ثمن ∴ مما يضن به الأقوام معلوم[٦٣]

وقد لا يكون ترتيب المكونات الدلالية لأحد الركنين أو كليهما من مقاصد الشاعر ، إلا أنه يلجأ إلى تقنية أسلوبية أخرى ، يشحن بها الجملة انفعاليا مع بقاء دلالة ركني الجملة كما هي ، وذلك ما نجده في قول "خراشة العبسي" :

قروم نمتنا في فروع قديمة ∴ بحيث امتناع المجد أن يتنقلا[٦٤]

---

[60] – المفضليات – ص : ٣٨٥

[61] – المفضليات – ص : ٤٥

[62] – المفضليات – ص : ٣٧١

[63] – المفضليات – ص : ٤٠١

[64] – المفضليات – ٤٠٥

إن تقديم المسند إليه "قروم" على المسند "تمتنا" لا يصيب دلالة أي من الكلمتين بأدنى تغيير ، إلا أنه بابتدائه البيت بالمسند إليه يغاير بين هؤلاء القروم وكل من سواهم ، مغايرة دالّة على انفعال الشاعر بقومه وأصوله .

ومن هذا القبيل كذلك ، أي عدم دفع التركيب إلى تغيير بعض مكوناته الدلالية ، توسّل الشاعر بالجملة المعترضة بين ركني التركيب ، بشكل قريب من الإطناب البلاغي ، كما في قول "الحصين المرّي" :

صبرنا – وكان الصبر فينا سجية– ... بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما[٦٥]

فأصل التركيب : صبرنا بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما ، وكان الصبر فينا سجية . إلا أن الشاعر اعترض ما بين الركنين بجملة تامّة ، ليضع دلالة التركيب الأساسي ضمن ثابت سيكولوجي وهو كون الصبر طبيعة فيهم ، ولنلحظ تقديمه شبه الجملة : "فينا" على خبر الفعل الناقص : "كان" ، للتأكيد على تلك الطبيعة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى استخدامه "في" الظرفية لتتحمل بدلالة رسوخ هذه الصفة الخلقية فيهم ، وكأنها مكون مادي وليس معنويا ..

ومن صور ذلك ما نجده في قول الشاعر "سلامة بن جندل السعدي التميمي" :

قوم ، إذا صرَّحت كَحْلٌ ، بيوتُهُمُ .·. عزُّ الذليلِ ومأوى كلِّ قُرْضُوبِ[٦٦]

فالتركيب في صورته الأصلية هو : قوم بيوتهم عز الذليل ومأوى كل قرضوب ، وهو معنى تام يدلل على قيمة خلقية لهؤلاء القوم ، إلا أن هذا المعنى تأكد وتثبّت أكثر وأكثر من خلال الجملة الاعتراضية الواقعة بين الخبر ونعته ، حيث إنه إذا كان ذلك شأنهم في الأوقات العادية ، فإنه يزداد في الأوقات العصيبة التي تدعو للتخلي عن مثل هذه الصفات ، إلّا أنهم لا يتخلون عن نجدتهم وإيوائهم .

ولا يختلف الناتج الدلالي في كثير من أبيات المدونة كما في الأمثلة التالية :

– "عبد يغوث بن وقّاص الحارثي" :

وكنت ، إذا ما الخيل شمَّصها القنا .·. لبيقا بتصريف القناة بنانيا[٦٧]

– "راشد بن شهاب اليشكري" :

جميعا ، ولسنا ، قد علمتَ ، أُشابةً .·. بعيدين من نقصِ الخلائقِ والغدرِ[٦٨]

---

65 – المفضليات – ص : ٦٥

66 – المفضليات – ص : ١٢٤

67 – المفضليات – ص : ١٥٨

68 – المفضليات – ص : ٣١١

- "عَوْف بن عطية بن الخرع التيمي" :

وما بي ، فاعلموه ، من خشوع ∴ إلى أحد ، وما أُزْهَى بكِبْرِ[٦٩]

- "سنان بن أبي حارثة المرّيّ" :

قد يعلم القومُ ، إذْ طالت غزاتُهُمْ ∴ وأرملوا الزادَ ، أنّي منفدٌ زادي[٧٠]

كانت الأمثلة السابقة شواهد على الحراك الدلالي الذي يحدث في بعض مكونات التركيب بفعل تقديم ، أو تأخير ، أو حذف ، أو مجاز حرف .. إلى آخره . وهي – جميعا – تصرّف جزئي بالدلالة لحساب الموضوع : الأخلاق . والملاحظ على الأمثلة السابقة أن جميع جملها جملا خبرية ، الأمر الذي يلفتنا إلى وظيفة نوع الجملة في أداء الموضوع . والجملة – كما سبق القول – هي التركيب الذي يحسن السكوت بعده لتمام فائدته ، غير أن هذه الفائدة قيست بلاغيا إلى الواقع ، فتمايز تحت مسمى الجملة نوعان منها ، الأول : نوع لا مداخلة للواقع عليها ، وهي الجملة الإنشائية . والآخر : يكون للواقع أن يصادق على دلالتها أو يعترض عليها تكذيبا لدلالتها ، ثم يكون لعلاقتها تلك بالواقع أحوال بلاغية خاصة ، وهذه هي الجملة الخبرية ..

أولا : الجملة الخبرية :-

للنحويين تعريف دقيق ومنضبط للجملة الخبرية ، يقول د. فاضل السامرائي في الجملة الخبرية أنها "هي المحتملة للتصديق والتكذيب في ذاتها بغض النظر عن قائلها . فكل كلام يصح أن يوصف بالصدق أو الكذب فهو خبر . فإذا كان الكلام صادقا لا يحتمل الكذب أو كاذبا لا يحتمل الصدق أو كان يحتملهما فهو خبر"[٧١] . هذا ويفصّل البلاغيون هذه القاعدة النحوية بما يحيط بتنوعات صور الأداء . فعندهم أن الخبر . بالنسبة للمخاطَب ، على أحوال ؛ فإما أن يكون خالي الذهن من الحكم ، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد ، ويسمى هذا الضرب من الخبر : "ابتدائيا" . وإما أن يكون مترددا في الحكم طالبا أن يصل إلى اليقين في معرفته ، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ، ويسمى هذا الضرب : "طلبيا" . وقد يكون منكرا له ، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا ، ويسمى هذا الضرب : "إنكاريا" .

وأدوات توكيد الخبر كثيرة منها: إنَّ ، وأنَّ ، والقسم ، ولام الابتداء ، ونون التوكيد الخفيفة ، ونون التوكيد الثقيلة ، وأحرف التنبيه ، والحروف الزائدة ، وقد ، وأمَّا الشرطية . وإلقاء الخبر على الصور السابقة ؛ خلو الذهن والتردد والإنكار يجري على مقتضى ظاهر الحال . هذا التمييز بين

---

69 – المفضليات – ص : ٣٢٨

70 – المفضليات – ص : ٣٥١

71 – د.فاضل صالح السامرائي– الجملة العربية– دار الفكر–عمّان–ط٢٠٠٧٢– ص١٧٠

الأساليب يتعرض وفق مقامات الكلام إلى ما يسميه البلاغيون : "الخروج على مقتضى الظاهر" وذلك وفق ملاحظات المتكلم على مخاطبه ، فمن ذلك : أن ينزل المتكلم خالي الذهن منزلة المتردد في قبول حكم الخبر إذا تقدم مايشير إليه ، أو أن يجعل غير المنكر كالمنكر إذا ظهرت علامات الإنكار عليه ، أو يجعل المنكر كغير المنكر إن توفَّر لدى المستمع دلائل لو تدبَّرها لتراجع عن إنكاره[٧٢] ، وفي كل هذا تنويع أسلوبي للكلام ، وإن بالخروج على مقتضى ظاهر المقام . فإذا كان النحاة قد التزموا مقتضى حال المخاطَب على حساب الخطاب نفسه ، فإن البلاغة أكثر اهتماما بالخطاب وإن على حساب مقتضى الظاهر ، وذلك لنواتج دلالية لا إمكان للخضوع لهذا المقتضى أن تؤديها ..

أولا : إخراج الخبر على مقتضى الظاهر :

قلنا سابقا أن من الجمل الخبرية ما يعرى من المؤكدات ، ومنه ما يلحق به التأكيد ، وهذه الجمل – في الحالتين – لا تخرج عن مقتضى الظاهر ، وعلى الرغم من أن الخطاب البلاغي أكثر اعتناء بصور الخروج على هذا المقتضى ، فإن لعدمه دلالات لا يجب إهمالها ..

١ – الخبر الخالي من التأكيد :

سبق القول أن المخاطب الخالي الذهن من الحكم إليه يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد . والشاعر الجاهلي توسل بهذا النوع من الخبر في أغراض بعينها ، ربما كان شعر الحكمة أهمها ، وإن لم نعدم الأسلوب نفسه في غرض الفخر كذلك .

– يقول المثقب العبدي :

حسن قول نعم من بعد لا ... وقبيح قول لا بعد نعم[٧٣]

الشاعر – في قصيدة هذا البيت– يوصي ابنه . وتأكيدا على نقاط وصيته ، أعقب بعضها بجمل خبرية ، كما في هذا البيت . وقد خلت حملتا البيت من أية صورة للتأكيد لسببين ، الأول : موقع المخاطَب من المخاطِب : ابنه ، الذي يفترض خلو ذهنه ، هذا بالإضافة إلى حكمة المضمون في الجملتين التي تبلغ حد المثل ، والتي يستوي عندها الناس إجماعاً على صوابها . وعلى الرغم مما تقدم ، فالشاعر يلجأ إلى أسلوبيات أخرى ليعادل غياب التأكيد ، فيقدم الخبر : "حسن" (في الجملة الأولى) و"قبيح" (في الجملة الثانية) على مبتدأيهما ، وفي ذلك نوع من الإغراء في الخبر الأول والتنفير في الثاني ، فلا يتلقى أي من الخبرين إلا وقد تهيأت نفسه بما تقدمهما لفعل الحسن والبعد عن القبيح .

---

72 – ينظر في تفصيل ذلك : الخطيب القزويني ،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن– الإيضاح في علوم البلاغة ؛المعاني والبيان والبديع– وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين– دار الكتب العلمية– بيروت– دت–ص ٢٨ ، ٢٩

73 – المفضليات – ص : ٢٩٣

- يقول المرقش الأكبر :

شعث مقادمنا نهبى مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا[٧٤]

في معرض الفخر ، لا يجد الشاعر ما يلجؤه إلى تأكيد أخباره ، وكأنه يذهب ، ضمنيا ، إلى أن الأحكام/الأخبار الناتجة عن جمله ليست بحاجة إلى تأكيد ، أكان معنويا أم كان لفظيا ، فكفى بالواقع مصدّقا على دعواه . إن الشاعر يرفع نواتج جمله إلى مرتبة المسلمات التي لا يتنطع أحد لتكذيبها . ولا يكتفي الشاعر بهذه الإحالة الضمنية إلى الواقع بخلو جمله من المؤكدات ، بل إنه يلجأ إلى كنايتين في الجملتين الأوليين واستعارة في الجملة الثالثة ، والكناية هي ما تهمنا هنا ، فالشاعر يتحول من تأكيد خبره معنويا أو لفظيا إلى تأكيد بياني يحيل إلى الواقع مباشرة ، عبر الكناية ، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : " .. أما الكنايةُ فإن السَّببَ في أنْ كانَ للإثباتِ بها مزيّةٌ لا تكونُ للتَّصريح أنَّ كُلَّ عاقلٍ يعلم - إذا رجعَ إلى نفسه - أنَّ إثباتَ الصّفةِ بإثبات دَليلها وإيجابَها بما هو شاهدٌ في وجودِها آكدُ وأبلغُ في الدَّعوى من أن تجيءَ إليها فتُثبتَها ساذجاً غُفْلاً وذلك أنّك لا تدَّعي شاهدَ الصّفة ودليلَها إلاَّ والأمرُ ظاهرٌ معروفٌ وبحيثُ لا يُشكُّ فيه ولا يُظَنُّ بالمخبر التجوّزُ والغلط"[٧٥] ..

فإذا ما أضفنا حضور الدليل الواقعي على الحكم في الجملة الخبرية بواسطة الكناية ، أسلوبية التقديم والتأخير ، إذ قدم الشاعر الخبر على مبتدأه في الجملتين الكنايتين ، وتأمّل بسيط في الخبرين : "شعث" ، "نُهبى" ، يفضي بنا - مباشرة - إلى نواتج هذا التقديم . فالكلمتان ، مفردتين من تركيبهما ، لا تحملان دلالات إيجابية . فإذا جاء مبتدآهما تحولت الدلالات السلبية إلى إيجابية ، وكأن الشاعر يبني أفق توقع لدى المتلقي عبر الخبر المقدّم ، ثم يكسره باكتمال التركيب . وهذا التصرف بالمتلقي لا يدع له مجالا لإنكار أو تردد ، فالهزة الجمالية الناتجة عن بناء - كسر أفق التوقع لا تبقي مجالا لانفصال المخاطَب عمن يخاطبه ، وإنما يتوحدان تصورا وتصديقا ، ويستكمل الشاعر هذا عبر الكنايتين ، فيسند وحدة التصور والتصديق تلك إلى الواقع كذلك . أخيرا ، فالملاحظ أن ثمة تضافرا بين أسلوبيتين في إنتاج دلالة البيت ، إحداهما خاصة بالخبر ويتضمنها علم المعاني ، وأسلوبية التصوير ويتضمنها علم البيان .

٢ - التأكيد الطلبي

للمخاطَب المتردّد بين التصديق والتكذيب ، أن يُبْقى إليه الخبرُ مؤكّدا بواحدة من أدوات التأكيد ، هذه هي القاعدة . غير أن مقاربة الشعر ، في مدونة الدراسة ، تلفتنا إلى أن هذا المؤكد

---

74 - المفضليات - ص : ٤٣١

75- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز - قراءة وتعليق : محمودمحمد شاكر - مكتبة الخانجي - القاهرة - د.ت - ص : ٧٢

الواحد يحاط بصورة أسلوبية أو أكثر تؤكد على مضمون الخبر المؤكد ، سواء أكانت هذه الصورة الأسلوبية صوتية ، أم صرفية ، أم تركيبية ..

- يقول "الحصين بن الحمام المرّي" :

فلست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مبتغ من رهبة الموت سلما[٧٦]

مقام القصيدة فخر الشاعر بنفسه والتنديد بخصومه بعد معركة ظفر فيها بهم . فيما قاله المحققان ، وكما يتضح من القصيدة كلها . وصورة التأكيد هي حرف الجر الزائد "الباء" في "بمبتاع" ، وقد نص علماؤنا على هذه الوظيفة لحرف الجر الزائد[٧٧] ، إلا أنهم لم يقولوا لنا لماذا الحروف الزائدة تفيد التأكيد ؟ .. ربما لا نجد الإجابة في كتب البلاغة ، وإنما في المقولة الأشهر عند علماء اللغة ، وخصوصا البصريين ، والتي تذهب إلى أن "الزيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى"[٧٨] ، حيث تفيد "الباء" في خبر "ليس" أشد التأكيد ، ونؤكد على هذا ، فليس بعد الاختيار القرآني لهذه الصيغة : ["ليس "اسمها" + "بـ" _ "خبرليس"] لتأكيده على صيانته نبيه (صلوات الله وسلامه عليه) وحفظه من الناس في قوله تعالى : "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ " (من سورة الزمر:٣٦) ، فالسياق – هنا – يفترض أعلى صور التأكيد اللفظي في العربية بهدف إنتاج أسمى دلالة للكفاية في ذهن المتلقي المتردد بين التصديق والتكذيب . فإذا ما حملنا كل ما سبق إلى بيت "الحصين بن الحمام المرّي" ، رأينا وظيفة أخرى "للباء" مضافة إلى تأكيد نفي "ليس" لخبرها ، وهو الفصل بين اسم ليس وهو الضمير المحيل إلى المتكلم وبين خبر ليس : "مبتاع" ومتعلقها : "بسبّة" ، وكأن الشاعر يباعد بينه وبين ما ينفيه عن سلوكه . ثم يؤطر الشاعر الوظيفتين : التأكيد والمباعدة ، تأطيرا صوتيا مستخدما أصوات هاتين الوظيفتين : "الباء" (٧ مرات) و"التاء" (٧ مرات) .

- يقول ضمرة بن ضمرة :

أذيق الصديق رأفتي وإحاطتي ... وقد يشتكى مني العداة الأباعد[٧٩]

مقام القصيدة التي ورد فيها البيت السابق خالص للفخر ، بمعنى أنها غير موجّهة إلى متلق بعينه ، فيفترض الشاعر أنه مكذّب مطلقا ، ولا هو مصدق مطلقا كذلك ، ومن ثم اختار متلقيا محايدا بين الاثنين ، هو المتردد في الحكم . ومن هنا أكد خبره بمؤكد لفظي واحد لكل من جملتي البيت :

الجملة الأولى : أذيق الصديق رأفتي وإحاطتي .

---

[76] – المفضليات – ص : ٦٩

77- يراجع : ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – تحقيق : د.عبد اللطيف محمد الخطيب – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – السلسلة التراثية (٢١) – الكويت – ط : ١ – ٢٠٠٢ – جـ :٢ – ص : ١٤٦

78- يراجع : د.رمضان عبد التواب – التطور اللغوي – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط : ٢ – ١٩٩٠ – ص : ١٣٩

[79] – المفضليات – ص : ٣٢٥

الجملة الأخرى : وقد يشتكي مني العداة الأباعد

تقيم الجملة الأولى إشكالا في فضاء الخطاب البلاغي في باب "الإسناد الخبري" من علم المعاني والذي أقر وظيفة التأكيد اللفظي لحروف المعاني ، كما أقر الوظيفة نفسها لتكرار الكلمة الواحدة ، ولم يلتفت إلى الجمع بين الاثنتين في نوع ثالث من التأكيد اللفظي يتمثل في تكرار الأصوات (الحروف) من غير حروف المعاني ، وكأنهم اكتفوا بتناول الظاهرة في المحسنات اللفظية من علم البديع ، الأمر الذي أفقر الأول (التأكيد اللفظي) ، وأهدر وظيفة الآخر (الجناس) . وعودة إلى الجملة الأولى ، نجد أن هذا النوع المهمل من التأكيد هو الحامل لدلالة الجملة ، فثمة جناس ناقص بين الفعل : أذيق ، ومفعوله الأول : الصديق ، ثم جناس ناقص كذلك بين المفعولين التاليين : رأفتي وإحاطتي ، وكأن الشاعر يقيم انسجاما صوتيا بين مكونات الجملة ليسيّج دلالتها بنوع من التأكيد الملتبس بجمالية الإيقاع ، وكأن الشاعر يعطي لدلالة الجملة صورة صوتية يشير انسجامها إلى طبعية هذا الخلق/السلوك فيه .

كما يمكن أن نضيف إلى ما سبق "التوازي" في اختيارات الشاعر لما يدل على ضمير المتكلم سواء "ألف المضارعة" في الفعل وياء المتكلم الدالة على النسبة في المفعولين الأخيرين ، فالضمائر الثلاثة متشابهة ولكنها غير متطابقة كما نص "جاكوبسون" على ذلك في مصطلح "التوازي"[٨٠] . أما الجملة الثانية فتقع على النقيض مما سبق ، ومن ثم توسل الشاعر في تأكيد دلالته بحرف التأكيد الصريح : "قد" ، وذلك لكي تغيب – تماما – ظاهرة الانسجام الصوتي الناتج عن كل من "الجناس" و"التوازي" ، ويطابق هذا الغياب دلالة الجملة ، فلم تكن جماليات ذلك الانسجام لتناسب مع دلالة مفردات مثل : يشتكي – العداة – الأباعد ، فضلا عن دلالة تركيبها . إذن ثمة تقابلان يقوم عليهما البيت السابق يبينهما الجدول التالي :

	الجملة الأولى	الجملة الثانية
انسجام	+	–
تأكيد	–	+

80- يراجع رومان جاكوبسون – قضايا الشعرية – ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون – دار توبقال – الدار البيضاء – ط : ١ – ١٩٨٨ – ص : ١٠٣

إن هذا التقابل المنتظم حضورا وغيابا يوازيه تقابل بين دلالة الجملتين إيجابا مع الصديق وسلبا مع العدو ، الأمر الذي يجعلنا نتحدث عن صورة جديدة لتأكيد الخبر لم تذكرها البلاغة العربية ، تتجاوز الجملة حيث يمكن للعلاقة النوعية بين جملتين فأكثر أن تنتجها كما في البيت السابق ..

- يقول بشر بن أبي خازم :

أبى لبني خزيمة أن فيهم ... قديمُ المجد والحسبُ النضارُ[٨١]

القصيدة في "الحماسة" ، يقول محققا الكتاب . وتؤكد القصيدة قولهما ، فهي تبدأ بالغزل وذكر الديار ثم تخلص لغرضها الأساسي ، ومن ثم فحال موقع المتلقي من خطابها كحال المتلقي السابق في قصيدة "ضمرة بن ضمرة" : التردد بين الحدّين : التصديق والتكذيب ، ومن ثم فأداة التوكيد واحدة ، وهي في البيت "أن" الناسخة . إلا أن دلالة التأكيد لا يكفي فيها ذكر أداته ولا ما تؤكده ، وإنما الأمر أكثر تعلقا بالسياق اللغوي الذي يردا فيه ، والناتج الدلالي الكلي له . فإذا ما وضعنا باعتبارنا ما سبق ، وجدنا إشكالين في البيت . الأول : حذف فاعل الفعل "أبى" ، والآخر رفع كلمتي "قديم" و"الحسب" ..

أما حذف فاعل الفعل ، فهذا نوع من الحذف لم يذكره "ابن جني" في خصائصه في سياق ما ذكره من حذف الجملة والاسم والفعل والحرف ، في باب "شجاعة العربية"[٨٢] وقد ذهب "ابن الأثير" إلى أن "ابن جني" لا يجيزه[٨٣] اعتمادا على عدم ذكره له . وقد رفض "ابن الأثير" موقف "ابن جني" وقدم أمثلة من القرآن الكريم وغيره تؤكد على جوازه ، فقال : "وقد نص ابن جني على عدم الجواز في حذف الفاعل ، وهذه الآية [يعني : "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ" (القيامة:٢٦)] وهذا البيت الشعري [يعني : أماويّ ما يغني الثراء عن الفتى .. إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر] وهذه الكلمة الواردة عن العرب (يعني : أرسلت) على خلاف ما ذهب إليه"[٨٤] ويضيف ضابطا لجواز حذف الفاعل ، فيقول : "إلا أن حذف الفاعل لا يجوز على الإطلاق ، بل يجوز فيما هذا سبيله ، وذلك أنه لا يكون إلا فيما دلّ الكلام عليه"[٨٥] وضابط الدلالة هذا يشير إلى الفاعل المحذوف في بيت "بشر بن أبي خازم" وتقديره : "المجد" ويدل عليه الشطر الأخير من البيت .

---

٨١ - المفضليات - ٣٤٢

82- ابن جني ، أبو الفتح عثمان - الخصائص - تحقيق : د.محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - القاهرة - (١٩٥٧) - جـ : ٢ - باب شجاعة العربية ، ومنه حذف الاسم - من ص : ٣٦٢ إلى ٣٧٩

83-ابن الأثير ، ضياء الدين - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تقديم وتعليق : د.أحمد الحوفي ، ود.بدوي طبانة - نهضة مصر - القاهرة - القسم الثاني - ١٩٧٣ - ص : ٢٨٣

84- ابن الأثير - المرجع نفسه - ص : ٢٨٤

85- ابن الأثير - المرجع نفسه - الصفحة نفسها .

وأما أمر رفع كلمة "قديمٌ" وكلمة "الحسبُ" وصفتها "النضارُ" ، على الرغم من أن ظاهر البيت كون الجميع منصوبات بكونها اسم "أن" ، فالتقدير أنه ثمة ضمير شأن محذوف ، فكأن أصل الصوغ اللغوي : أنه فيهم قديم .... . يقول "أبو البقاء الكفوي" : ".. وإذا وقع قبل الجملة ضمير غائب إن كان مذكرا يسمى ضمير الشأن نحو :(هو زيد منطلق) وإن كان مؤنثا يسمى ضمير القصة ، ويعود إلى ما في الذهن من شأن أو قصة أي : الشأن أو القصة (مضمون الجملة التي بعده) .. ولا يفسر إلاّ بجملة ، ولا يحذف إلاّ قليلا ، ولا يجوز حذف خبره عليه ، ولا يتقدم خبره عليه ، ولا يخبر عنه بالذي ، ويستمر حذفه مع (أنَّ) المفتوحة ، ولا يجوز تثنيته ولا جمعه ، ويكون لمفسره محل من الإعراب بخلاف سائر المفسرات ، ولا يستعمل إلاَّ في أمر يراد منه التعظيم والتفخيم .. وإنما سمي ضمير الشأن لأنه لا يدخل إلاَّ على جملة عظيمة الشأن نحو : (قل هو الله أحد) فإن أحديته جليلة عظيمة .."[٨٦]

وبناء على جواز حذف ضمير الشأن ، فتقديرنا صحيح في حل إشكال العلامات الإعرابية في البيت .. غير أن الأهم هو جمع الشاعر بين التأكيد بـ"أن" ودلالة التعظيم الناتجة عن ضمير الشأن المقدر . يبدو من تصرف الشاعر بالتركيب اللغوي للبيت في حذفين جائزين وغير واجبين : حذف الفاعل وحذف ضمير الشأن ، أنه يقصد إلى تركيز انتباه المتلقي على الكلمات المركزية التي اعتمد عليها الشاعر في بيته وكلها تتركز في الشطر الأخير منه . وكأن الشاعر لم يرض بتردد المتلقي بين التصديق والتكذيب ، فاضطره إلى الاعتماد على الشطر الثاني لفك إشكالات الشطر الأول ، وإذ يفعل ذلك فقد أقر بمضمون البيت كليا .. إن تأويل المتلقي لكلام ما يفترض ، بل يفرض ، قدرا مما سماه "أومبرتو إيكو" التعاضد بين المتلقي والنص[٨٧] وهو – تحديدا ما أراده الشاعر من المتلقي المتردد في هذا البيت .

٣- التأكيد الإنكاري

١- يقول راشد بن شهاب اليشكري :

جميعا ، ولسنا – قد علمْتَ – أشابة .. بعيدين من نقص الخلائق والغدر[٨٨]

---

86 – الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني- الكليات- إعداد: د.عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٢/١٩٩٨- ص٨٢٠.

87- راجع : أومبرتو إيكو - القارئ في الحكاية - ترجمة : أنطوان أبو زيد – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء/بيروت – ط : ١٩٩٦

88 – المفضليات – ص : ٣١١

مقام القصيدة الفخر بقبيلته : "يشكر" والتعريض بخصومها ، وحضور الخصوم في مقام القصيدة يستلزم كون المتلقي منكرا ، ومن ثم حسن أن يؤكد الشاعر خبره بأكثر من مؤكد ، ولكن قبل التعرض لمؤكدي الخبر ، ثمة إشكال اختلف فيه شراح المفضليات في إعراب كلمة "بعيدين" ، " فالتبريزي يذهب إلى انتصابها على الحال[٨٩] في حين ورد في شرح "ابن الأنباري" قوله : "رواها أحمد (يعني : أبو بكر أحمد بن محمد الجراح) : بعيدون"[٩٠] ، ونحن نميل لرواية "أحمد" لإجراء القاعدة برفع الكلمة خبرا لمبتدأ محذوف بدلا من التوجيه البعيد لها إلى الحالية . إذن ، فأصل البيت : ولسنا – قد علمت – أشابة ، نحن – جميعا – بعيدون من نقص الخلائق والغدر ..

ثمة مؤكدان في البيت ، أولهما خاص بفخر الشاعر بقبيلته في الكلمة/"الحال" : "جميعا" ، والآخر في خطابه خصمه بـ"قد" . أما كلمة "جميع" أحوال نحوية متعددة ومختلف ، فهي : "من ألفاظ التوكيد المعنوي للجمع المذكر بشرط أن تُضاف إلى ضمير المؤكّد .. فإذا لم تُضف إلى ضمير المؤكّد بأن أضيفت إلى مصدر الفعل المتقدم أعربت نائبة عن المصدر المفعول المطلق .. أو إلى اسم ظاهر أُعْرِبت حسب موقعها في الجملة .. وإن قُطِعت عن الإضافة نُوِّنت .. فإن كانت منصوبة منوّنة أعربت حالا"[٩١] . ولكون كلمة التأكيد حالا وتقدمها على عاملها دلالتها الحاسمة في موضوع الفخر ، فالقبيلة كلها سواء في بعدها عن نقائص الأخلاق (أو الناس) وعن الغدر (تعريضا بالخصم) . وقبل أن تنتج كلمة الحال/التأكيد هذه الدلالة تعترض الجملة الاستئنافية :– قد علمت – ليؤكد للخصم ، عبر أداة التأكيد ، أنه هو نفسه يعلم بصدق خبره ، وكأن التأكيد ، هنا (:قد) وهناك (جميعا) كذلك ليس للخبر بل التأكيد على صدق علم الخصم وكذب واقع ادعائه . إن التأكيد – في البيت – له ظاهر لفظي هو تأكيد الخبر ، وله باطن دلالي وهو تغليب معتقد الخصم على واقع ادعائه ، الأمر الذي يلفتنا إلى أن دواعي تأكيد الخبر ، طلبيا كان أو إنكاريا ، في اللغة ، ليس أكثر من قاعدة عامة ومرنة يتصرف بها المخاطِب وفق رؤيته للمقام وتصوره للمخاطَب . وربما لهذا الذي نقوله اختلف البلاغيون في تعريف الخبر بدءا من "الجاحظ" وحتى "القزويني" وشراحه[٩٢]

89– الخطيب التبريزي – شرح اختيارات المفضل – تحقيق : د.فخر الدين قباوة – الكتب العلمية – بيروت – الجزء الأول – ط : ٢–١٩٨٧ – ص : ١٣٢٦

90 – ابن الأنباري ، أبو محمد القاسم بن محمد – ديوان المفضليات – تحقيق : كارلوس لايل – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت – ١٩٢٠ – ص : ٦١٢

91– د.علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي – المعجم الوافي في أدوات النحو العربي – دار الأمل – إربد – الأردن – ط : ٢ – ١٩٩٣ – ص : ١٣٦ ، ١٣٧

92– يراجع : سعد الدين التفتازاني وآخرون – شروح التلخيص – دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت – الجزء الأول – ص : ١٧٣ ومات بعدها .

٢- يقول سنان بن أبي حارثة :

قد يعلم القوم ، إذ طالت غزاتهم .·. وأرملوا الزاد ، أني منفد زادي[٩٣]

.. أيضا ، أداتا التأكيد – هنا – هما : "قد" و"أنّ" ، الأولى خاصة بعلم المخاطَب/القوم ، والأخرى خاصة بفعل المخاطِب ، وبينهما جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله من جهة وبين مفعوله ، وهو مقصود الخطاب ، من جهة أخرى . وهذه الجملة هي : "إذ طالت غزاتهم وأرملوا الزاد" . والتي تصور واقعا يشمل كل القوم جميعا شمول علمهم المؤكّد بما سيلي تلك الجملة الاعتراضية حيث التأكيد الثاني ..

يلاحظ على البيت وجود ثلاثة أخبار هي : علم القوم – وقت طول الغزاة وادخار الزاد – إنفاد المخاطِب زاده . أما الخبران الأول والثالث فمؤكّدان ، وأما الثاني فيخلو من التأكيد . والفارق بين المؤكد وغير المؤكد يحدث جدلا بين المكونات التركيبية للبيت ، وتحديدا بسبب هذا الترتيب : [مؤكد (واقع معنوي عام) – غير مؤكد (واقع مادي عام) – مؤكد (واقع مادي خاص)] كما في المخطط التالي :

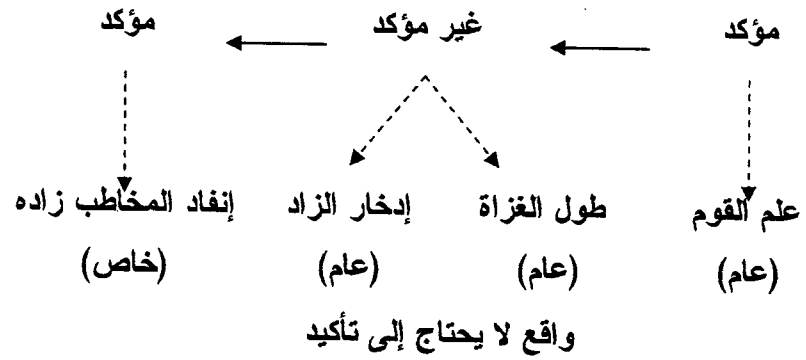

إن الشاعر يقيم ما يشبه المحاجّة المنطقية بفضل محتوى الجملة الاعتراضية ، فطول الغزاة وإدخار الزاد يفترضان أن يتصدى أحدهم لإطعام القوم ، وكأن الشاعر يضمّن تأكيده علمهم بجوده حين يكون البخل سلوكا عاما ، يضمنه سؤالا جوهريا : كيف عشتم دون زاد ، بالرغم من طول زمن غزاتكم ؟ فيزداد التأكيد رسوخا في الصدق بالرغم من مقام إنكار المخاطَبين الذي يستشف من مفتتح البيت : "قد يعلم القوم" .

٣- يقول عوف بن عطية التيمي :

---

93 – المفضليات – ص : ٣٥١

لعمرك إنني لأخو حفاظ .. وفي يوم الكريهة غير غمر[٩٤]

القصيدة في مقام الفخر ، وهي سبعة أبيات ، أخذ فيها ضمير المتكلم مفتتح القصيدة واستمر ثلاثة أبيات ، وبعدها التفت (نعني الالتفات البلاغي) إلى ضمير المخاطبين ثلاثة أبيات كذلك ، أما البيت السابع فهو وصف للقبائل (وكلها عدوّة بتعبير الشاعر) التي وردت في البيت السادس . فالقصيدة – إذن – موجهة إلى أعداء لا يفترض فيهم تصديقا وإن ظاهر الواقع خلاف إنكارهم ، وبالتالي لابد من التأكيد وبأكثر من مؤكد كما هو مقتضى الظاهر . أما المؤكدان فهما : "لام" القسم في "لعمرك" و"لأخو"..

يقول "الزجاجي" : "اعلم أن حروف القسم أربعة ، وهي : الباء ، والتاء ، والواو ، واللام . هذه الحروف تخفض المقسم به ، وهي صلات فعل مقدر .. وقد تدخل ، على ضروب من المقسم به ، لام الابتداء التي مضى ذكرها فيرتفع ، لأنها تمنع ما قبلها أن يعمل فيه ، كقولك : لعمرك لأخرجن هو مرفوع بالابتداء ، والخبر مضمر ، والتقدير لعمرك ما أقسم به ، فموضع الجملة نصب ، قال الله تعالى : "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" .. ولا بد للقسم من جواب وجوابه في النفي ما ولا ، وفي الإيجاب إن واللام"[٩٥] ..

ولكن ، ما هو سياق القسم ، أعني : ما هو التكوين الإفرادي للبيت ؟ ..

- المفردات : عمر – أخ – حفاظ – يوم – كريهة – غمر .
- وثمة أدوات عامة (سياقية) هي : واو (الاستئناف) – في (الظرفية) – غير (الاستثنائية) .
- أما أدوات التأكيد فهي : لام القسم (تخص المخاطَب) – لام جوابه وإن (تخصان المخاطِب) .

وتتحول هذه المفردات إلى تراكيب جزئية :

- أخو حفاظ .
- يوم الكريهة .
- غير غمر .

.. ويأتي البيت ، وكأنه محض تنسيق لهذه التراكيب الجزئية وفق ترتيبها السابق ، فقط يضع الأدوات ، سواء العامة منها أو التأكيدية ، مواضعها . معنى هذا أن البيت خالص للتأكيد على

94- المفضليات- ص :٣٢٨

95- الزجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق – كتاب اللامات – تحقيق : مازن المبارك – دار الفكر – دمشق – ط : ٢ – ١٩٨٥ – ص : ٨٣

التراكيب الجزئية التي أشرنا إليها ، أو لنقل : إعطاء هذه التراكيب بنيتها المنتجة لدلالتها الكلية ولكن موسومة ، أعني هذه البنية ، بالتأكيد ..

يبدو أن إيراد "الخبر على مقتضى الظاهر" لا يخرجه من دائرة "الأدبية" Poetics التي تهتم بها البلاغة بلاغتَنا في خطابها التراثي ، فثمة مساحات حرية يتصرف بها المخاطِب تقديما وتأخيرا ، وحذفا وذكرا ، واعتراضا ، وكذلك تحميل الدلالة وظيفة بعض الأساليب مثل الاستثناء الذي نسميه : "الاستثناء المعنوي" ، أي بلا أداة تميز المستثنى من المستثنى منه .. إلى آخره .

هذا فضلا عن التمييز الذي كان المخاطِب يجريه على موقف المخاطَب بين معتقده وغالبا ما يوافق خطاب المخاطِب ، وبين واقعه المخالف لهذا الخطاب وذاك المعتقد ، فإذا تأكيد الخبر يمتلك قوة إنجازية ربما لا تماثلها قوة إيراد الخبر خروجا على مقتضى الظاهر ، وذلك بفضل دخول الواقع عاملا حاسما مضافا إلى التأكيد في نفي إنكار المخاطَب وإثبات ادّعاء المخاطِب . إننا نلمح شيئا من الحجاج وبلاغته (النوعية) في "إيراد الخبر على مقتضى الظاهر" ، وبخاصة أن النواتج السابقة تشير إلى ما أقره "الحجاجيون" من تمايز بين مكوّني القول ، أي قول ، المكون اللغوي (التركيبي) والمكون البلاغي (البلاغي) ، وهو تمايز من أجل تعديل نوعية العلاقة بينهما وليس بهدف الفصل بينهما ، يقول "شكري المبخوت" : "وأساس العلاقة بين المكوّنين هو السيطرة على تعدّد الاستعمالات في المقامات المختلفة ، وذلك بأن يكون للمكوّن اللغوي قدرة على التكهّن بدلالة الأقوال ، وللمكوّن البلاغي قدرة على تحديد معنى القول الفعليّ ، أي المتحقّق مقاميا"[٩٦]

ثانيا : الخروج على مقتضى الظاهر :

كنا ، في "إيراد الخبر على مقتضى الظاهر" ، نتعامل مع كلمة "الظاهر" باعتبارها على حال المخاطَب من وجهة نظر المخاطِب أو اعتقاده ، كما تتجلى في النص ، أومما قد يستنبط من غرضه ، والأمر نفسه في "إيراد الخبر على غير مقتضى الظاهر" . وإذا كان "الخبر" الأول قد ورد على ثلاثة أضرب ، إذ لا يخرج موقف المخاطَب عن ثلاثة : خالي الذهن ، أو متردّد في الحكم ، أو منكر له ، فإن هذه المواقف – في حال الخروج عليها – تتولد عنها سبعة أضرب هي : تنزيل المنكر منزلة الخالي الذهن ، وتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وتنزيل خالي الذهن منزلة المتردد ، وتنزيل خالي

96- شكري المبخوت – نظرية الحجاج في اللغة – ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف حمادي صمود – كلية الآداب – جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – منوبة (تونس) – د.ت – ص : ٣٥٦

الذهن منزلة المنكر ، وتنزيل المتردد منزل الخالي الذهن ، وتنزيل المتردد منزلة المنكر ، وتنزيل العالم بالحكم منزلة المنكر لتناقض موقفه .[٩٧] .

وثمة تصنيفات أخرى ، ولكننا لم نعتمدها لسببين ، الأول : أنها تشتبه بالجمل الإنشائية من قبيل الاسترحام ، وإظهار الضعف ، وإظهار الفرح أو التحسر ، والتذكير ، والتوبيخ .. إلى آخره . والسبب الآخر : عدم تعلقها بشيء من موضوع الدراسة حيث يتحد الخطاب الأخلاقي بالفخر في ألغب قصائد المدونة .

١- تنزيل المنكر منزلة الخالي الذهن :-

يقول الأسود بن يعفر النهشلي :

عف صليب إذا ما جلبة أزمت ∴ من خير قومك موجودا ومعدوما[٩٨]

هذا البيت مكون من جملة واحدة محذوف مبتدؤها تقديره : "أنا" وخبره الأول : "صليب" وخبره الثاني جملة اسمية : "من خير قومك" ، متعلق بها حالان وجملة شرطية . والأهم أن البيت خال من التأكيد ، على الرغم من مناسبة القصيدة التي تشير إلى هجر خليلته له واستبدالها غيره به ، وهو ما يشير إليه مطلع القصيدة :

قد أصبح الحبل من أسماء مصروما ... بعد ائتلاف وحب كان مكتوما

واستبدلت خلة مني وقد علمت ∴ أن لن أبيت بوادي الخسف مذموما[٩٩]

والبيت الشاهد يلي هذين البيتين مباشرة ، حيث ينزل الشاعر خليلته منزلة خالية الذهن من الحكم الذي سيلقيه على الرغم من كون واقع فعلها/هجرها يجعلها منكرة له ، فأتى بذلك الخبر خاليا من المؤكدات . ولكن السؤال لم ؟ .. لم لم يخاطب الشاعر هذه المرأة خطابا ملائما لوضعية إنكارها ؟ إن كون الحكم ، أو الأحكام ، الواردة في البيت/الجملة الخبرية صفاتٍ شخصية هي المسئولة عن غياب التأكيد ، وكأن الشاعر يرفع هذه الصفات إلى مرتبة ما لا خلاف عليه فكأنها ليست صفات خلقية بل هي واقع لا ينكره أحد ، فغلّب تسنيم الناس له بما يصف نفسه به على إنكار المخاطَبة لها وله

97- يراجع : د.عبد العزيز قلقيلة – البلاغة الاصطلاحية – دار الفكر العربي – القاهرة – ط : ٣ – ١٩٩٢ – ص : ١٣٣ بتصرف .

98 – المفضليات – ص : ٤١٨

99 – المفضليات – الصفحة نفسها .

فالواحد شاذٌّ لا حكم له في مواجهة الإجماع. ولو أكد الشاعر على صفاته لما نزلت هذا الموضع الذي أنزلها فيه غياب التأكيد[١٠٠] .

٢- تنزيل المنكر منزلة المتردد :-

يقول المرقش الأصغر :

أجملِ العيشَ إن رزقَك آتٍ ∴ لا يردُّ الترْقيحُ شرْوَى فتيل[١٠١]

ويسبق البيت/الشاهد بيتا مهما يقول فيه الشاعر :

عجبا ما عجبت للعاقد الما ∴ ل وريبُ الزَّمان جَمُّ الخُبول[١٠٢]

أما القصيدة فحمل مقصدها والغرض منها والحافز إليها :

آذنت جارتي بوشكِ رحيل ∴ باكراً جاهرت بخطب جليل

أزمعت بالفراق لمّا رأتني ∴ أتلف المال لا يُذَمُّ دخيلي[١٠٣]

فالقصيدة إذن تعبر عن رؤيتين متناقضتين حول المال والثروة ، موقف الزوج التي تدين كرم زوجها الذي لا يبقي على شيء ، وموقف الشاعر الذي يرى أن المال وسيلة وليس غاية كما تذهب زوجه . فموقف الزوجة – إذن – إنكاري ، وكان يستدعي وجود أكثر من مؤكد في البيت/ الشاهد ، لكن الشاعر أنزل زوجته منزلة المتردد بالرغم من وضوح موقفها الذي دعاها إلى هجره مستعملا مؤكِّدا واحدا "إن" .

.. لكن الشاعر يلجأ إلى الالتفات ، عن خطاب زوجه ، إلى خطاب الرجل النقيض له والذي يمثل النموذج لها ، فيتعجب من جمعه المال وكنزه بالرغم من أن الزمان لا يبقى على حال وحدثانه لا تذر قائما إلا بدلته ، وهنا يخاطبه : "أجمل العيش"، وهي الجملة التي تحول موقف ذلك الرجل من منكر للإنفاق والكرم إلى متطلع لما يرد بعدها ، فكأنه في تطلعه هذا قد أصبح متردّدا في الحكم بين تصديق وتكذيب ، فجاز استعمال مؤكِّد واحد في البيت .

إن قراءة البيت على ضوء سياقه الشعري ، ووضع الاثنين في فضاء دلالة النص يوجه التأكيد ، يفضيان – ولابد – إلى اكتشاف البنية التي تضبط بعض الأساليب التي تؤشر على ثغرة ما في

100- وردت في القرآن الكريم آيات كثر ، أنزلت المنكر منزلة خالي الذهن ، وذلك في قضية إثبات الوحدانية لله تعالى ، كما في قوله سبحانه : "وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (البقرة:١٦٣) .

101 – المفضليات – ص : ٢٥١

102 – المفضليات – الصفحة نفسها .

103 – المفضليات – ص : ٢٥٠

السياق ، كما هو الحال في الالتفات ، وتحديدا التفات القصيدة من خطاب الزوج إلى خطاب الرجل العاقد المال ، باعتباره النموذج الذي يُرضي مثل هذه المرأة ، فكأن الخطاب له والمقصود إياها ، فيما يعبر عنه المثل العربي : "إياكِ أعني واسمعي يا جارة"[١٠٤] .

٣- تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد :-

يقول المسيب بن علس :

ولأنت أجود من خليج مفعم .·. متراكم الآذي ذي دُفّاعِ[١٠٥]

القصيدة في المدح ، والتأكيد في البيت يعني أن الممدوح منكر لصفاته الممدوح بها ، وهذا محال ، ومن ثم وجب إخراج الخبر – هنا – على غير مقتضى الظاهر ، هذا المقتضى الذي يبدو معه الممدوح غير مبال بكرمه ، إذ لا يراه أكثر من سلوك عادي ، وليس كما يراه الشاعر ، إنه كرم نفسي يظاهر الكرم المادي . ولما كان هذا حال الممدوح ، أنزله الشاعر منزلة خالي الذهن فأكد خبره بمؤكد واحد . هذا ظاهر الخطاب البلاغي وما يقوله في مثل هذا البيت .

ولكننا لو تأملنا في الصفات التي يسندها الشاعر إلى ممدوحه لوجدناها تتجاوز حد المعقول إذ لا يكتفي بأن يشبهه بالخليج وإنما يراكم الصفات على الخليج حتى لا يشبه الممدوح أي خليج ، وإنما [١] المفعم [٢] متراكم الآذيّ [٣] ذي دُفّاغ .. إنه مشبّه فريد ويقارب مشبها به أكثر فرادة ، وهنا يأتي خروج الخبر على مقتضى الظاهر ليجعل المشبه خالي الذهن من المشبه به ، فنكتشف معنى تتضمنه حالة الخبر (تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد) مضافا إلى ظاهر معناه ، فالممدوح ليس كريما على هذا النحو فحسب ، وإنما هو أكرم من أن يلتفت إلى ما يجود به .

٤- تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر :-

يقول الشنفرى :

وإني لحلوٌ إن أُريدَت حلاوتي .·. ومرٌ إذا نفسُ الغَروفِ استمرَّتِ[١٠٦]

يفخر الشنفرى إذ قتل قاتل أبيه ، فيبدأ قصيدته بالتغزل بمحبوبته ووصفها حسيا ونفسيا ، عبر أربعة عشر بيتا ، ثم ينتقل من هذا المفتتح الطويل إلى الغرض الأساسي وهو الفخر . وقبل

104- مثل عربي قاله : سهل بن مالك الفزاري ضمن بيتين هما :

يا أخت خير البدو والحضارة .·. كيف ترين في فتى فزارة

أصبح يهوى حرة معطارة .·. إياك اعني واسمعي يا جارة

راجع : أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم – الفاخر – تحقيق : عبد العليم الطحاوي – عيسى البابي الحلبي – القاهرة – ١٣٨٠ هـ – المثل : ٢٦٩ – ص : ١٥٨

105- المفضليات – ص : ٦٣

106 – المفضليات – ص : ١١٢

التعرض للبيت ، يجب الوقوف أمام هذه المدة الزمنية التي يستغرقها إنشاد أربعة عشر بيتا قبل الولوج إلى الفخر ، بما يعني أن الشاعر لا يوجه فخره إلى أحد ، وإنما يفخر ليفخر . وبالتالي فحافزه للفخر حافز ذاتي ، ومن ثم تغلب عليه الفنية الواضحة ، سواء في المقدّمة الغزلية أو الفخر : الغرض الأساسي . أما كونه لا يوجّه قصيدته إلى مخاطَب معين ، فلذلك فهو خالي الذهن أنزله الشاعر منزلة المنكر مؤكدا وصفه ذاته بأكثر من أداة : "إن" و"اللام" . إنه تأكيد يمكن وصفه بالأسلوبي ، أكثر من كونه تأكيدا مقاميا . وهذا النوع من التأكيد يندرج في الفنية الواضحة التي تتجاوز تأكيد الخبر إلى بعض الأساليب البديعية الواضحة في البيت .

٥- تنزيل المتردد منزل المنكر :-

يقول أفنون التغلبي :

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ... وإنك لا تبقي بمالك باقيا[١٠٧]

القصيدة في الفخر العام ، أي غير المرتبط بموقف ، ومن ثم فمتلقيه خالي الذهن ، إلا أن الشاعر بقوله "فطأ معرضا" يجعل المتلقي متطلعا إلى علة هذا الأمر ، فيكون بمكان المتردّد ، إلا أن الشاعر يعامله معاملة المنكر فيأتي بأداة التأكيد : "إن" مرتين ، صحيح أن كل واحدة وردت في جملة ، إلا أن الجملتين مترابطتين دلاليا بجامع "الحتوف" في الجملة الأولى و"لا تبقي" في الأخرى ، ومن ثم فهي دلاليا جملة واحدة تكررت فيهما أداة التأكيد كما سبق القول .

٦- تنزيل المتردد منزلة الخالي الذهن :-

يقول الحادرة :

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا .. زمنا ويظعن غيرنا للأمرع[١٠٨]

القصيدة بلا مقام محدد ، فقد تنوعت أغراضها ، فالشاعر يتغزل ويفتخر بأخلاقه وقومه وأيام قبيلته ويصف الخمر والرحلة وناقته واسفاره ، وربما لهذا السبب اختارها الأصمعي ورآها المحققان أنها من جيد الشعر[١٠٩] الأمر الذي يجعلنا نتوسل بالسياق النصي ، فقبل هذا البيت يقول الشاعر :

أسُمَيَّ ويحك هل سمعت بغَدْرَة ... رُفِعَ اللّواء لنا بها في مجمع[١١٠]

107- المفضليات – ص : ٢٦١

108- المفضليات – ص : ٤٥

109- المفضليات – هامش النص – ص : ٤٣

110- المفضليات – ص : ٤٥

فهذا البيت يشي بأن الشاهد في خطاب زوجه ، وسؤالها : "أسميّ .. هل" يشير إلى ترددها في قبول الحكم ، وكان مقتضى الظاهر أن يؤكد خطابه لها بمؤكد واحد ، إلا أنه أنزلها منزلة خالية الذهن ، فأتى بالبيت عاريا من المؤكدات . ولعل السبب في ذلك راجع إلى كون السؤال ليس استفهاما على الحقيقة ، بقدر ما هو نفي لمحتواه وإنكار له ، فإذ تضمن السؤال هذه المعاني ، لم يكن البيت/الشاهد بحاجة إلى مؤكدات .

٧- تنزيل العالم بالحكم منزلة المنكر لتناقض موقفه :-

يقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

وَلَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي .·. أنا الليثُ مَعْدُوّاً عَلَيَّ وَعَادِيَا[١١١]

في مواجهة الموت على يد أعدائه ، ورثاءً لنفسه ، تأتي هذه القصيدة ، وفي البيت يتحدث الشاعر عن معرفة زوجه به ، فيأتي بأداتي تأكيد : "قد" و"ضمير المخاطب المنفصل" . على الرغم من افتراض أن زوجه أخبر به – وهي كذلك – من أن يؤكد لها كلامه/خبره ، فإن الشاعر ينزلها منزلة المنكر ، وبالتالي يلجأ إلى أداتي التأكيد السابقتين . هذا ظاهر الأمر ، أما لماذا أنزل الشاعر زوجه هذه المنزلة ؟ فالإجابة أنه لو وَضعنا باعتبارنا متلقي القصيدة وهم أعداؤه ، لتبينا إلى أيّ حد كان خطاب الزوجة وإنزالها منزلة المنكر ، وسيلة إلى تأكيد خبره لأعدائه . إنها هي التقنية نفسها التي وجدناها في بيت "المرقش الأصغر" ، والتي تجعلنا نتجاوز موضع الشاهد إلى سياقه اللغوي ، ونتجاوز الاثنين لقراءة مقام القصيدة ، واكتشاف العلاقة الضابطة لتحولات الخطاب في النص .·. .

ثانيا الجملة الإنشائية

ثمة فارق عام بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية ، فالجملة الخبرية ممتحن محتواها دائما ، إما على الواقع/المقام أو اعتقاد المخاطِب ، ومداخلة السياق النصي محدودة للغاية كما تبين لها . على العكس تماما الجملة الإنشائية ، فمحتواها غير مقيس إلا إلى سياقها النصي ومدى تفاعلهما معا . ولأن أنواع الجمل الإنشائية كثر ، وذلك لتتسع لكافة أنواع الخطاب ، فمن المهم تمييز بعضا منها مما لايدخل في مجال الخلق الذي غالبا ما يكون في مقام الفخر . فالاسترحام والتحسر ، على سبيل المثال هو مما لا يدخل في موضوع الدراسة ، بينما تشيع أساليب : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، فضلا عن النداء ، وغالبا ما كان الأمر والنهي على حقيقته ، بينما للنداء والاستفهام أحوال أخرى سنتعرض لها بعد تأملنا في جدول الأساليب الإنشائية في مدونة الدراسة :

---

[١١١]- المفضليات – ص : ١٥٨

م	الأسلوب الإنشائي	تكرارته
١	الأمر	٢٧
٢	النداء	٨
٣	النهي	٦
٤	الاستفهام	٣

تقنية إنتاج الدلالة في الأساليب الإنشائية قريبة من تقنية الكناية ، في إرادة معنى ليس هو ظاهر معنى التركيب ، مع عدم امتناع المعنى غير المراد ، وكذلك حال الأساليب الإنشائية حين يخرجها السياق أو تخرجها قرائن الأحوال إلى معنى أسلوبي مع عدم امتناع المعنى اللغوي . ويرتهن خروج الجملة الإنشائية من معناها اللغوي إلى معناها الأسلوبي بالموضوع/الغرض العام للأداء الذي يندرج ضمنه الغرض الخاص بسياق الجملة الإنشائية . والموضوع الأخلاقي والذي يلتبس في الأغلب الأعم بالفخر ، في مدونة الدراسة ، ومن ثم نجد سيادة مطلقة للإنشاء الطلبي بل بعض أنواعه ، ثم نجد فيه هذا التفاوت العددي الملفت بين تكرار أسلوب الأمر من جهة (٢٧تكرارا) وبين الأساليب الثلاثة الأخرى مجتمعة (١٧تكرارا) ، هذا فضلا عن غياب أنواع إنشائية أخرى تماما . ثم نجد معظم الأساليب تلزم المعنى اللغوي دون المعنى الأسلوبي ، وهو ما ستتضح أغراضه عند تحليل نماذج من كل أسلوب ..

أ- الأمر :

الأمر لغة : لا يفيدنا المعجم كثيرا في بشأن كلمة الأمر فابن منظور مثلا يعرفه بنقيضه فيقول : " الأمر : معروف ، نقيض النهي"[١١٢]. وإننا لنتوقف أمام كلمة "معروف" ، إذ يبدو أن عموم معرفة دلالة الكلمة قد هيأتها بامتياز للدخول إلى الاصطلاح عليها بلاغيا دون أن تصطدم الدلالة الاصطلاحية بشيء من المواضعة اللغوية فبقليل من آيات القرآن الكريم وشيء من الشعر كان كفيلا بخلق انسجام فائق بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية .. أما الأمر اصطلاحا فهو : "طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى ، حقيقة أو ادعاء ، أي سواء أكان الطالب أعلى في واقع الأمر أم مدعيا لذلك "[١١٣]. ولا أكمل ، في شرح هذا التعريف الموجز من قول السكاكي : "ولا شبهة في أن طلب المتصور ، على سبيل الاستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه ، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من

112 - ابن منظور- لسان العرب- مرجع سابق- مجلد١- ص١٢٥

113 - عبد السلام هارون- الأساليب الإنشائية في النحو العربي-مكتبة الخانجي- القاهرة- ط :٥- ٢٠٠١- ص١٤

المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة ، وإلا لم يستتبعه ، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور ، أفادت الوجوب ، وإلا لم تفد غير الطلب ، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام ، إن استعملت غلى سبيل التضرع كقولنا : اللهم اغفر وارحم ، ولدت الدعاء ؛ وإن استعملت على سبيل التلطف ، كقول كل أحد لمن يساويه في المرتبة : افعل ، بدون الاستعلاء ، ولدت السؤال والالتماس كيف عبرت عنه ، وإن استعملت في مقام الإذن .. ولدت الإباحة ؛ وإن استعملت في مقام تسخط المأمور به ، ولدت التهديد .."[١١٤] . أما صيغه فهي : فعل الأمر ، والمضارع المقترن بلام الأمر ، واسم فعل الأمر ، والمصدر الأمري . ومعظم الأبيات التي قامت على الإنشاء الأمري خرج فيها الأمر على حقيقته ، ولكنه التزم ، في معظم صور خروجه هذا ، معنى واحدا هو النصح والإرشاد ، وكأن شاعر مدونتنا قد استبدل معنى بمعنى ، وجعل المعنى الذي اختاره دلالة قاعدية لتعبيره الخلقي بديلة من الدلالة القاعدية المعروفة للتعبير اللغوي العام ..

قول عبد قيس بن خُفاف :

الله فاتقه ، وأوف بنذره ∴ إذا حلفت ماريا فتحلَّل[١١٥]

وقول الحارث بن حلزة :

واحلب لأضيافك ألبانها ∴ فإن شر اللبن الوالج[١١٦]

و قول عبد قيس بن خفاف :

واستغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتجمل[١١٧]

وقوله أيضا :

وإذا تشاجر في فؤادك مرة ∴ أمران فاعمد للأعف الأجمل[١١٨]

وقول أقنون التغلبي :

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ∴ وإنك لا تبقي بمالك باقيا[١١٩]

هذا عدا أمثلة كثيرة لم تغادر معنى النصح والإرشاد ، على الرغم من كون هذا الأمر صادرا ، في أغلب أمثلته ، من أعلى اجتماعيا وقرابيا إلى من هو أدنى ، ولكن اعتداد العرب بأنفسهم آباء وأبناء وأبناء عمومة وخؤولة ، تنفى معنى الأمر ، وتحل محله : النصح والإرشاد ، هذه واحدة .

---

114 - السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على- مفتاح العلوم- حققه:د. عبد الحميد هنداوي- دارالكتب العلمية - بيروت-ط:١-٢٠٠٠- ص٤٢٨

115 -

116 - المفضليات - ص : ٤٣٠

117 - المفضليات - ص : ٣٨٥

118 - المفضليات - ص : ٣٨٥

119 - المفضليات - ص : ٢٦١

والأخرى تعود إلى القيمة الخلقية المأمور بها ، فهي من الصدقية والعرفية الاجتماعية مـا لا يفقـدها قوتها الاجتماعية بتحول الأمر من معناه إلأى معنى آخر .

ب- النهي :

النهي لغة : بناء على قول ابن منظور السابق يكون النهي عكس الأمر . أما اصطلاحا فهـو "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وصيغته واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهيـة ، كقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنى)"[١٢٠].

ومن أمثلته :

قول " عوف بن الأحوص" :

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ∴ إذا رد عافي القدر من يستعيرها[١٢١]

إن النهي – هنا – لا يمكن أن ينصرف على حقيقته ، ولا "إذا" على معناها ، أما إذا فإنها تنصرف إلى تحديد الزمن ، بمعنى "متى" . وأما النهي ، فيخرج إلى معنى الفخر بجود المخاطب ، فالشاعر ينهـى مخاطبته أن تسأله هو نفسه عن سلوكه الأخلاقي ،وإنما تسأل أولئك الذين يتفضل عليهم وهم كفيلون بالرد نيابة عنه وعن أفعاله .

وقول "المثقب العبدي" :

لا تقولنَّ إذا ما لم ترد ∴ أن تتم الوعد في شيء نعم[١٢٢]

هذا نهي لا يقصد منه طلب الكف عن فعل على سبيل الاستعلاء ، فالمقام يعدل بالاستفهام عن حقيقتـه إلى معاني النصح والإرشاد ، فالعلاقة بين المخاطِب/الأب والمخاطَب/ولد أخته ، تؤكد علـى الطبيعـة النصحية والإرشادية ، فإذا ما أضفنا إلى ذلك الصيغة الشرطية لسياق الاستفهام ، تأكـد ليـدنا هـذا المعنى .

وكذلك قول "عبد قيس بن خُفاف" :

وإذا أتتك من العدو قوارص ∴ فاقرص كذاك ولا تقل لم أفعل[١٢٣]

أيضا النهي هنا ينصرف إلى معنى النصح والإرشاد بقرينة أسلوب الشرط الذي يقع في سياقه .

ت- النداء :-

---

120 – عبد السلام هارون- الأساليب الإنشائية في النحو العربي- مرجع سابق- ص١٥

121 – المفضليات- ص : ١٧٦

122 – المفضليات – ص : ٢٩٣

123 – المفضليات – ص : ٣٨٥

النداء لغةً : في لسان العرب لابن منظور "النِّداء والنُّداء : الصوت مثل الدعاء والرغاء ، وقد ناداه ونادى به وناداه مناداة ونداء أي صاح به"[١٢٤]. وثمة معاني أخرى غير ذات صلة بموضوعنا . والنداء اصطلاحا هو : المنادى بحرف نائب عن أدعو . والأصل في مناداة القريب أن تكون بالهمزة أو أي ، وفي نداء البعيد أن تكون بغيرهما . وقد يعكس الأمر فيدعى القريب بدعاء البعيد لغرض بلاغي كعلو المدعو نحو : يا الله ، او لسهوه ، أو نومه ، أو لانحطاط درجته عن درجة الداعي نحو : يا هذا تأدب . وقد ينزل البعيد منزلة القريب فتستعمل له أداته ، إشارة إلى أنه قريب المكانة وأنه نصب العين"[١٢٥]. أما أدواته فأهمها الهمزة وأي ويا . ومن أمثلته :

قول "ذو الإصبع العدواني" :

يا عمرو لو لنت لي ألفيتني يَسَرا ∴ سمحا كريما أجازي من يجازيني[١٢٦]

بغض النظر عن جملة فإن البيت يحتشد بمفردات ذات دلالات إيجابية فيما يخص علاقة المنادي بالمنادَى : يسرا- سمحا- كريما- أجازي- يجازيني ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك تحول أداة الشرط "لو" إلى دلالة التمني ، يمكننا العودة إلى أداة النداء وقراءتها على ضوء كل هذه الدلالات ، لنجدها وقد تحولت عن دلالتها إلى دلالة جديدة يفرضها السياق وهي التحبيب والتأليف والتقريب . وربما كانت هذه الدلالة وراء اختياره للفعل "ألفيتني" لما له من تقاربات صوتية مع مفردات الألفة أسماء وأفعالا .

وقول "عبد قيس بن خفاف" :

أجبيل إن أباك كارب يومه ∴ فإذا دعيت إلى العظائم فاعجل[١٢٧]

واضح من الجملة الخبرية المؤكدة في الشطر الأول وهي تؤكد العلاقة الحميمية بين الأب وابنه إذ تشعر الأخير بدنو أجل الأب الأمر الذي يهيئ الابن نفسيا لقبول خطاب الأب المستأنف والذي يأخذ الصيغة الشرطية في الشطر الثاني ، فإذا نظرنا إلى جملة الشرط وجدناها توحي بجواب الشرط ، إذ لا يعقل تكاسل أحد عن عظيمة يدعى إليها ، غير أن الأب – في جواب الشرط – لايطلب من ولده مجرد تلبية تلك الدعوة ، وإنما يطالبه بالعجلة فيها . فإذا ماعدنا إلى جملة النداء مزودين بكل هذه الدلالات وجدنا أداة النداء تعدل عن معناها الأصلي إلى الدلالة الأكثر مناسبة لما سيليها وهي التنبيه .

وقول "المرقش الأكبر" :

يا ذات أجوارنا قومي فحيينا ∴ وإن سقيت كرام القوم فاسقينا[١٢٨]

---

124 – ابن منظور- لسان العرب- مرجع سابق- ج:١٤- ص٩٧

125 – عبد السلام هارون- الأساليب الإنشائية في النحو العربي- مرجع سابق- ص١٧-١٨

126 – المفضليات – ص : ١٦٤

127 – المفضليات – ص : ٣٨٤

النداء في هذا البيت وأمثاله كثر في الشعر الجاهلي عموما يعود إلى خاصية متكررة في كل الشعر الشفهي تتمثل في نزوع الثقافة (الشفاهية) إلى تثبيت مجموعة من الصيغ اللغوية (كليشيهات) او على حد قول "جيمس مونرو" : "الأنظمة الصياغية" بل إنه نص على جملة المنادى في البيت السابق[١٢٩] .

ث- الاستفهام :-

الاستفهام لغة : كما هو واضح من الصيغة الصرفية للكلمة ، نجدها صيغة مزيدة للفعل فهم ، ومقصود بها طلب الفهم بكل ما للفهم من دلالات . أما الاصطلاح فلا يبعد كثيرا عن المعنى اللغوي ولكن مع بعض الزيادات التي تفيد الاستخدام الأسلوبي للصيغة بخروج أداة الاستفهام عما وضعت له إلى معان عد منها القزويني ثلاثة عشر معنى[١٣٠] . وأدوات الاستفهام مشهورة معروفة ، ولم يستخدم منها في مدونة الدراسة إلا أداتان فقط ، هما : "الهمزة" وهي لطلب التصديق ، والمسئول عنه هو ما يليها و"من" التي للسؤال عن العارض المشخَّص لذي العلم ، عند القزويني مخالفا رأي السكاكي في معناها[١٣١] ومن أمثلته :

قول "عوف بن عطية التيمي" :

ألم ترَ أننا مَرْدَى حروب ... نسيل كأننا دُفّاع بحر[١٣٢]

إلى معنى التعجيب من أمر المخاطبين ينصرف الاستفهام . فالسياق الذي ورد فيه يشير بتماسك مكوناته الشديد إلى أن ذلك الأمر جدير بالعجب ، فالسؤال يقع على فعل منفي "لم تر" والفعل "رأى" متعد ، إلا أن الشاعر لم يُعدّه إلى كلمة ، بل إلى جملة ، وهي جملة خبرية يقرر بها حاله وحال قومه "مردى حروب" ، ثم يستثمر تنكير حروب ليصفها بجملة تامة خبرية فعلية : "نسيل" ، والصفة بذاتها "استعارة" يدخلها الجملة/الصفة/الاستعارة في نسق تشبيهي ليرفعها من مألوف دلالتها إلى دلالة أمكن في أداء حقيقة هؤلاء : "دُفاع حرب" .. إن هذا النظم الشديد التماسك المتنوع الأساليب المعقد الوظائف يعود على أداة الاستفهام فيحيلها من السؤال عن "الفعل" المنفي ، إلى التعجيب من انتفائه فدلالة السياق عجيبة فعلا ، وجمله خبرية تقريرية مؤكدة مرتين بأنّ المصدرية مرة والناسخة مرة أخرى ..

---

128 - المفضليات – ص : ٤٣١

129 - جيمس مونرو- النظم الشفهي في الشعر الجاهلي- ترجمة:د.فضل بن عمار العماري-الأصالة للثقافة والنشر- الرياض- ط:١-١٩٨٧- ص ٣٨(القوالب الصياغية) ص٣٩(با ذات)

130 - الخطيب القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- مرجع سابق- ص ١١٢، ١١٣، ١١٤

131- الخطيب القزويني – نفسه – ص : ١١١

132 - المفضليات – ص : ٣٢٨

وقول "تأبط شرا" :

بل من لعذالة خذالة أشب .·. حرّق باللوم جلدي أيّ تَحْراق[١٣٣]

قاعديا ، فإن السؤال بـ"من" يفيد طلب الفهم "عن العارض المشخص لذي العلم" كما يقولون ، أما "تأبط شرا" فالسياق بدءا من المستفهم عنه "عذّالة" ثم صفاته : "خذّالة" ، و"حرّق .." ، تجعل أداة الاستفهام تتحرك من مواضع دلالتها الوضعية ، لتفيد "الاستغاثة" ، وهو ما يفهم من "الاستعارة" في قول الشاعر : "حرّق باللوم جلدي.. " . إن تشبيه اللوم بالنار ثم حذف المشبه به والإتيان بأثر من آثارها : الحرق ، ينقل الفعل اللفظي : اللوم ، إلى واقع مادي معاين . وهذا ما يجعل الاستغاثة معنى كامنا في الاستعارة تستظهره أداة الاستفهام . وكذلك الحال في قول "عبد قيس بن خفاف" :

دار الهوان لمن رآها داره .·. أفراحل عنها كمن لم يرحل[١٣٤]

لو أننا التزمنا صيغة السؤال بقطعها عن سياقها ، لتبين لنا أن الاستفهام – هنا – على حقيقته . ولكن السياق يرينا كيف أن الجملة الخبرية عارية من أية مؤكدات ، لأن الحقيقة لا يضيرها غياب تأكيدها ، كما لا يفيدها حضوره ، والتي تفيد تقرير حقيقة أن الهوان ليست صفة للدار بل صفة لمن يقيم فيها . وعلى ضوء ما سبق لا يفيد السؤال بـ"الهمزة" والمتبوع بأداة النفي الجازمة معنى التسوية ، بل يعدل السياق عن هذا المعنى إلى معنى "التنفير" ، وذلك بفضل تلك الجملة التي سبقت السؤال .

أسلوبية العدول البياني

تمثل الصور البيانية بكافة أنواعها شكلا متميزا من أشكال العدول عن دلالة اللغة إلى دلالة النص من تشبيه إلى استعارة إلى مجاز بنوعيه المرسل والعقلي وأخيرا الكناية .

أولا : التشبيه

.. لـ"ابن أبي عون" (٣٢٢) رأي فريد في جمالية "الشعر" ومركزية التشبيه فيها ، فيقول : "الشعر مقسوم على ثلاثة أنحاء"[١٣٥] . وبعد ، يورد هذه الأنحاء جاعلا التشبيه ثالث ثلاثة ، اما الآخرين فهما : "المثل السائر وكان النحو الأول ، وكانت "الاستعارة النحو الثاني ، وإن كان قد نص على شرط الندرة في التشبيه ، والغرابة في الاستعارة . وعلى الرغم من هذين الشرطين – فضلا عن سيرورة المثل – ففي هذا ما يستنبط من دور تلك الأنحاء الثلاثة في مفهوم الشعرية في الشعر العربي

---

133 – المفضليات – ص : ٣٠

134 – المفضليات – ص : ٣٨٥

135– يراجع : ابن أبي عون – التشبيهات – تحقيق : محمد عبد المعيد خان – مطبعة جامعة كمبردج – د.ت – ص : ١ ، ٢

القديم . ولولا ميراث جاهلي في أنحاء "ابن أبي عون" لما أمكنته هذه الحصرية ، الأمر الـذي يلفتنـا بقوة إلى قول "الجرجاني" الذي بين العلة في جمال التشبيه النادر أو الغريب ، فقال : "والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرّع إليه الخاطر ، ولا يقع في الـوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يُشبّه به ، بل بعد تثبّت وتذكّر وفَلْيٍ للنفس عن الصور التي تعرفها ، وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه"(١٣٦) .. الغريب أن صاحب أوليـة المعنـى على اللفظ هو من يذهب هذا المذهب(١٣٧) ، حيث تقف أطراف التشبيه في ألفاظها لا تبين عن معانيها إلا بعد ما عدّده "الجرجاني" ، وأيا ما كان الأمر فإن الرجل يُحْمَد على مذهبه ها هنا ، وتحديدا في البعد الثقافي الذي أوشك أن يصرح به في تلقي مثل ذلك النوع الغريب والنادر من التشبيه . والحقيقة مـا ألمح إليه "عبد القاهر" ، فالتشبيه ، إبداعا وتلقيا ، شديد الارتباط بالثقافة السائدة(١٣٨) ، فهي المسئولة عن قرب ما بين طرفيه وبعده ، هذا إبداعا . وهي – كذلك – المسئولة عن التحليل الدلالي للعلاقـات التركيبية بين مجموع مكوناته الخمس (المشبه – المشبه به – الأداة – الوجه – الغرض) . والتشبيه – لغة – التمثيل ، وقد تورط بعض البلاغيين في الفصل بين الاثنين ، فجعلوا الواحد منهما بابا برأسه ، واعترض على هذا "ابن الأثير"(١٣٩) ولسنا من رأي هؤلاء المطابقين بينهمـا ، ولا مـن رأي "ابـن الأثير" كذلك ، فالتشبيه وسيلة والتمثيل غاية ، أو لنقل الأول : الظاهرة ، والآخر : ناتجهـا ، وفـرق كبير بين الظاهرة (البيانية) وناتجها .. ونظرا للارتباط الذي سبقت الإشارة إليه بين التشبيه والثقافة ، فليس من الغريب أن نجد الأصل في التشبيه الجاهلي : تشبيه حسي بحسي ، أما الفرع عليه فتـشبيه معنوي بحسي . وفي العصر الجاهلي حيث "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"(١٤٠) لـم يكـن منتظرا أن نجد "تشبيه معنوي بمعنوي" ، فهذا مما يتطلبه التحضر والتمدن وظهور العلوم والفلسفة .. إلى آخره .

136– عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – تحقيق : محمود محمد شاكر – المدني – القـاهرة/جـدة – د.ت – ص : ١٥٧

137– تراجع أمثلته عن "الشمس" و"المرآة المجلوّة" ، و"الوشي" و"اختلاف أصباغه ونقشه" و"الروض" و"زهره ونـور" – المرجع السابق – الصفحة نفسها .

138– يراجع فصل "آلات علم البيان: في الفصل الثاني من مقدمة "ابن الأثير" – المثل السائر – مرجع سابق – جـ : ١ – ص : ٣٨

139– يقول ابن الأثير : "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل ، وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفـردا ، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال : مثّلته به" – المرجـع نفسه – جـ : ٢ – ص : ١١٥

140– قول مأثور لعمر بن الخطاب أورده "ابن سلام" – طبقات فحول الشعراء – تحقيق : محمود محمد شاكر – المـدني – جدة – د.ت– السفر الأول – ص : ٢٤

يقول " المثقب العبدي" :

لا تراني راتعا في مجلس ∴ في لحوم الناس كالسبع الضرم[١٤١]

قوله : لا تراني ، أي : لا تجدني ، وأما راتعا ففي "لسان العرب" : الرَتْعُ : الأكل والشرب رَغَداً في الريف .. وفي الحديث : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، .. وقال تعالى .. :أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ، أي يلهو وينعم ... "[١٤٢] . أما "ضَرِم" ، فيقول "ابن منظور" : "والضَّرَم : غَضَبُ الجوع .. يُقال : ضَرِمَ الرجلُ إذا اشتدّ جوعه . أبو زيد : ضَرِمَ فلان في الطعام ضَرَماً إذا جدّ في أكله لا يدْفَعُ منه شيئا"[١٤٣] . وأصل التركيب اللغوي : لا تراني في مجلس راتعا في لحوم الناس كالسبع الضرم ، فالمشبه : المخاطِب ، والمشبه به : السبع الضرم ، والأداة : الكاف ، والقرينة : "في لحوم الناس" وكذلك : في مجلس ، ووجه الشبه : راتعا ، والغرض منه : المطابقة بين المغتاب للناس ، والأسد الجائع من جهة ، والمطابقة بين من اغتيب وفريسة الأسد من جهة أخرى ، ثم المقاربة بين الجهتين عبر أداة التشبيه . والتشبيه في عمومه تشبيه حسي : فاعل الاغتياب ، بحسي : الأسد الجائع . هذا عن التشبيه ، أما السياق فأمره فريد في بابه ، فالتشبيه جملة فيها من الفضلات : المفعول "ضمير المتكلم والحال "راتعا" . وفيها من المتعلقات شبها الجملة : "في مجلس" و"في لحوم الناس" . وفيها الصفة "الضرم" . أما سياق هذه الجملة الموسّعة إلى أقصى حد ، فهو مجرد حرف النفي "لا" ليس أكثر .

إن هذا التفاوت الفريد بين التشبيه وسياقه له دلالته التي تمثل مقصد الشاعر من بيته ؛ إن ذلك التفاوت ليس أكثر من علامة ظاهرة تحيل إلى ما يستبطنه من تفاوت بين المعدوم والموجود ، فالمعدوم تمثله أداة النفي الواقعة على سلوك المتكلم : سياق التشبيه ، والموجود يمثله دلالة التشبيه ، وكأن الشاعر يعرّض بكل من سواه ، أو أن ثمة أسلوبا شرطيا في فضاء البيت يضاعف دلالته تقديره : إذا كان مألوف الناس أن يخوضوا في مجالسهم في أعراض الغائبين ، فهذه مجالس لا وجود لي فيها .

ومن صور تشبيه الحسي بالحسي – كذلك – قول "الجميح الأسدي" :

أو من لأشعث بعل أرملة ∴ مثل البليّةِ سَمِلَةِ الْهِدْمِ[١٤٤]

---

141 – المفضليات – ص : ٢٩٤

142 – ابن منظور – لسان العرب – ص : ١٧٥٥

143 – ابن منظور – لسان العرب – ص : ٢٥٨٣

144 – المفضليات – ص : ٣٦٨

أما الأرمل والأرملة الرجل والمرأة لا مال لهما ، ثم استعملت للمرأة التي مات عنها زوجها لكونها فقدت من يعولها ، ولا يقال للمرأة ذات المال أرملة ، وإن فقدت زوجها[١٤٥] . أما "البلية" ففيها يقول ابن منظور : "كانوا في الجاهلية يعقرون عند القبر بقرة أو ناقة أو شاة ، ويسمّون العقيرةَ البليّةَ ، كان إذا مات لهم من يعزّ عليهم أخذوا ناقة فعقلوها عند قبره فلا تُعْلَفُ ولا تُسْقَى إلى أن تموت ، وربما حفروا لها حفيرة وتركوها فيها إلى أن تموت"[١٤٦] ، ومن معانى "سَمِلَة" : "السَّمَلُ : الخَلَق من الثياب"[١٤٧] وفي معنى "الهِدْم" "والهِدْمُ بالكسر : الثوب الخَلَق المُرَقَّع ، وقيل : هو الكساء الذي ضوعفَ رِقاعُه"[١٤٨] . والتشبيه في البيت السابق : أرملة (المشبه) مثل (الأداة) البلية (المشبه به) ، ثم يأتي دور الصفة : سملة الهدم (القرينة) ، أما وجه الشبه فهو الجامع المشترك بين الناقة التي لا تعلف ولا تسقى حتى الموت وهذه المرأة الجائعة الظامئة ، والغرض منه خارج التشبيه نفسه ، فالتشبيه يقارب بين هذه الأرملة وتلك الناقة البليّة فحسب ، ثم يترك الغرض منه لسياقه ، فالاستفهام الذي خرج عما وضع لأداته : "من ؟" إلى معنى الاستغاثة : من لأشعث بعل .." يحول التشبيه إلى تجسيد لما يستغيث منه هذا الأشعث . هنا لا تعود المقاربة التي ينجزها التشبيه محض مقاربة ، بل تتحول إلى صناعة صورة ذهنية ليس عن "الأرملة" بل عنها وعن زوجها ، فإذا الاستفهام يتحول إلى إطار دلالي لصورة لا منتهى لدلاليتها ما ظلت البليّة/المرتكز التصويري قابعة في قدرها لا تعلف ولا تسقى ..

أما تشبيه المعنوي بالحسي ، فدائرته ضيقة للغاية في الشعر الجاهلي[١٤٩] أو في مدونة الدراسة على الأقل ، بل ربما كان المعنوي فيه مؤولا بالحسي وكان هذا التأويل هو الأولى ، يقول "المثقب العبدي" :

إن "لا" بعد "نعم" فاحشة .·. فبـ"لا" فابدأ إذا خفت الندم[١٥٠]

أما الفاحشة فمن الفحش ، وهو القبيح من القول والفعل[١٥١] ، إذن فدلالة الفاحشة دلالة مادية ، أما "لا" و"نعم" فهما علامتان على الإيجاب والرفض ، وإذن فهما معنويان ، فلو صرفناهما إلى

145- يراجع : ابن منظور – لسان العرب – ص : ١٧٣٥

146- المرجع نفسه – ص : ٣٥٦

147- نفسه – ص : ٢١٠٠

148- نفسه : ٤٦٣٦

149- ربما كان إحصاء للمشبه في الشعر الجاهلي دالا على علاقة الثقافي بالبلاغي ، وجديرا ببحث مستقل يحصر جهده في المشبه فقط ، دونما تورط في المشبه به الباحث .

150 – المفضليات – ص : ٢٩٣

151- ابن منظور – ص : ٣٣٥٥

دلالتهما كان التشبيه تشبيه معنوي بحسي ، وإذا قدرنا اسم "إن" وهو : "قول" صار التشبيه تشبيه حسي بحسي وهو الأقرب إلى فهمنا للبيت . فلا في نفسها بعد نعم في نفسها ليس مما يقبح أو يحسن ، وإنما قول الأولى بعد قول الأخرى هو عين "الفاحشة" التي يقصدها شاعرنا في بيته .

ومن أساليب العرب التعالي عن التشبيه وبناء هذا التعالي على أساس من تشبيه مسكوت عنه ، كما هو الحال في "أفعل التفضيل" ومنه قول "المسيب بن علس" :

ولأنت أجود من خليج مفعم .·. متراكم الآذي ذي دُفَّاع[١٥٢]

التشبيه إما صريح الأداة أو مضمرها ، غير أن بعض أساليب العربية تقيم التشبيه ضمنيا ثم تجعل غاية تصريحها الارتفاع عن المشبه به ، ليكون المشبه أفضل منه ، كما هو الحال مع "أفعل التفضيل" ، فالبيت الأول يتضمن تشبيها للجواد بالخليج المفعم الـ .. والـ .. ، ثم تستبدل أجود بالجواد وتضاف من فيستقيم التعبير وترتفع الدلالة إلى حد لا انتهاء له .

ثانيا المجاز :

يقوم علم البيان على نقل دلالة اللفظ المفرد إلى دلالة أخرى ، وأدنى درجات هذا الانتقال ، هو المقاربة بين الدلالتين ، وهو ما يقوم به التشبيه ، تليه الكناية بدخول الواقع قرينة على ذلك الانتقال بتفصيلات خاصة بالكناية ، وأعلى درجاته "المجاز" . والمجاز – في عموم مفهومه – يمثل النافذة التي تتنفس منها اللغة ، وهي تفتح حدود مفرداتها دلاليا ، فتتسع بالتالي كفاءة اللغة على تقديم وسائل تعبيرية جديدة ، وإذن فالمجاز ضرورة لغوية ، ثم إن ضرورته هذه تتحول إلى حتمية شعرية ، فبه تكون شعرية الشعر خاصة والأدب عامة ، وبفضله تتميز اللغة الشعرية/الأدبية من اللغة المعيارية/العادية . ويتوزع المجاز إلى نوعين : "الاستعارة" و"المجاز المرسل" ، فإذا كانت العلاقة بين الدلالتين علاقة مشابهة كنا أمام الاستعارة ، وإذا كانت أية علاقة غير المشابهة كانت الكلمة مع المجاز المرسل . والنوعان على صلة وثيقة برؤية العالم في لغتهما .

أ- المجاز المرسل :-

للمجاز المرسل فلسفته المستبطنة في بلاغته ، فالنظر إلى تنوع العلاقات التي تربط بين دلالة لفظ ودلالة آخر وتعددها ، وجواز استعمال هذا مكان ذاك تأسيسا على هذه العلاقة يشير إلى رؤية أو فلسفة ينسق اللغة على هيئة أنساق العالم ، فالعلاقة الواقعية بين السماء والمطر والكلأ جعل الشاعر العربي يقول معاوية بن مالك (مُعَوِّد الحكماء) :

إذا نزل السحاب بأرض قوم .·. رعيناه وإن كانوا غضابا[١٥٣]

---

152 – المفضليات – ص : ٦٣

153- المفضليات –– ص : ٣٥٩

ولعبد القاهر الجرجاني رؤية نافذة في مسألة المجاز ، وذلك في كتابه "أسرار البلاغة" حيث يقول : "اعلم بعد أن في إطلاق "المجاز" على اللفظ المنقول عن أصله شرطا ، وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل . ومعنى "الملاحظة" ، ان الاسم يقع لما تقول إنه مجاز فيه ، بسبب بينه وبين الذي تجعله حقيقة فيه ، نحو أن "اليد" يقع للنعمة ،وأصلها الجارحة .. ومن شأن النعمة أن تصدر عن "اليد" ، ومنها تصل إلى المقصود بها . وكذلك الحكم إذا أريد بأليد القوة والقدرة ، لأن القدرة أكثر ما يظهر سلطانها في اليد .. ولوجوب اعتبار هذه النكتة في وصف اللفظ بأنه "مجاز" ، لم يجز استعماله في الألفاظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين"[١٥٤] . إن "الجرجاني" يخرج المشترك اللفظي من المجاز ، ثم إنه يلاحظ ملاحظة أهم ، وهي أن اللفظ المنتقل إلى دلالة جديدة لا يعرى من دلالته الأصلية ، وهنا تحضر القرينة التي تفيد إرادة الدلالة المنتقَل إليها . ويكون التعريف الجامع للمجاز المرسل : كلمة استعملت في غير معناها الأصلي ، دون أن تعرى عنه ، لعلاقة غير علاقة المشابهة ، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي . ومن علاقات المجاز ، أمثلة وليس حصرا : السببية ، والمسببية ، والجزئية ، والكلية ، واعتبار ما كان ، واعتبار ما سيكون ، والمحلية ، والحالّية . والسؤال هل ثمة مجازات في مدونة الدراسة ؟

أمثلة المدونة :

يقول عبد يغوث بن وقاص :

وكنت إذا ما الخيل شمصها القنا ... لبيقا بتصريف القناة بنانيا[١٥٥]

ويقول تأبط شرا :

حمال ألوية شهاد أندية ... قوال محكمة جواب آفاق[١٥٦]

ويقول الحصين بن الحمام :

صبرنا وكان الصبر فينا سجية ... بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما[١٥٧]

لا يبدو البلاغيون ، في تعريفهم للمجاز المرسل ، معنيين بتحقيق القيمة البلاغية ، بقدر ما كانوا أشد اهتماما للحراك الدلالي الذي يفرضه التركيب وسياقه على اللفظ المفرد ، وبالتالي كان مبحث المجاز المرسل أكثر فائدة للمعجم منها لجماليات الأداء أو بلاغته . وهذا الذي نذهب إليه لا يتضح – فحسب – في المعنى الاصطلاحي للمجاز ، وإنما في العلاقة التأسيسية للمعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي أصلا ، يقول "ابن منظور" : "جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزاً وجُؤُوزاً وجَوازاً ومَجازاً وجازَ به

154[154]- عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – مرجع سابق – ص : ٣٩٥ ، ٣٩٦

155 – المفضليات – ص : ١٥٨

156 – المفضليات – ص : ٢٩

157 – المفضليات – ص : ٦٥

وجاوزه جوازاً وأجازه وأجاز غيرَه وجازَه سار فيه"[158] فالمجاز – لغة – قطع الطريق أو السير فيه ، وكل سير هو من (بداية) إلى (غاية) وكذلك "المجاز" لغةً ، يقول عبد القاهر الجرجاني" : "المجاز يفيد أن تجوز بالكلمة موضعها في أصل الوضع وتنقلها من دلالة إلى دلالة"[159] أما السكاكي فيذهب إلى أن المجاز "هو : أن تُهَدّى الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره ، لملاحظة بينهما ونوع تعلق"[160] غير المشابهة التي للاستعارة وليس المجاز المرسل" . والملاحظ أن المجاز – عند الجرجاني – لا يختلف عنه في اللغة ، فقط بتغيير الطريق إلى الكلمة . أما عند السكاكي فلا يخرج عن سلفه اللهم إلا بإضافة القرينة ونوع العلاقة . الأمر الذي يعيدنا إلى ما ذهبنا إليه من أن المجاز – في المفرد تحديدا – مسألة خاصة بخروج آمن ، عبر القرينة ونوع العلاقة ، للكلمة من دلالتها إلى دلالة أخرى ، ويكاد البلاغيون يطبقون على ملاحظة هذا الفارق دونما عناية بما ينتج عنه . وفي الأمثلة الثلاثة السابقة ف المجازات الثلاثة تحلل بلاغيا كما يلي :

	المجاز	القرينة	العلاقة
١	لبيقا بتصريف القناة بنانيا	الخيل شمصها القنا	الجزء عن الكل
٢	أندية	قوال محكمة	المحل عن الحال
٣	كفا ومعصما	بأسيافنا	الجزء عن الكل

هذا آخر ما تقوله البلاغة في هذا الصدد ، ولولا بقية من خصوصية لعلم البلاغة في أنفس القائمين عليه لصرحوا بما نذهب إليه ، لكنهم سكتوا فصار المجاز المرسل ما نعرفه منهم . ولو أنهم تكلموا لوازنوا بين فهم الكلام على ما قيل وفهمه حملا على المجاز ، ولو أقاموا هذه الموازنة لاكتشفوا أن تأويل الكلام بما كان أصلا له يهدر قيمته البلاغية والجمالية .

إن تصرف البنان : "أطراف الأصابع" بالقناة " "الرمح" هو أبلغ دلالة على فروسية المتكلم من تصريف الرمح بكل اليد . وكذلك الأمر في "أندية" فإن الحديث في أصل التعبير أنه أهل الأندية لا ينتج معنى جديدا ، أما اعتبار قول المتكلم على حقيقته تجعل من شهوده هذا النادي جامعا المكان ومن فيه وهي – بالضرورة – أبلغ لو اعتبرنا القرينة : "قوال محكمة" – لفهمنا أن شهود المحل والحال فيه دليل على مدى إحكام القول وكأن المحل يشهد له بذلك . ولا يختلف الأمر في الحالة الثالثة ، فالفارس يصل بتلاعبه بخصمه حد الاكتفاء بقطع كفه ومعصمه ومن يقدر على ذلك يقدر على قطع الأعناق بدلالة الحجم . خلاصة الأمر في المجاز المرسل في بلاغتنا القديمة أنه حرف النظر عن جمالية الأداء

158- ابن منظور – لسان العرب – مرجع سابق – ص : ٧٢٤

159- عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – مرجع سابق – ص : ٤١٨

160- السكاكي – مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص : ٤٧٣

للمحافظة على معجمية الدلالة بتأويل الخروج عليها بأصل ما كان لها ، ولا يفيدنا أن يقولوا بجمالية الأداء وهم يردونها إلى أصل عار عن هذه الجمالية ، فإذا ما غضضنا النظر عن أصل الأداء ، كفت القرينة عن لعب دور في قراءة المجاز ، واتسعت حدود العلاقات (العقلية المنطقية) إلى حد إمكان غياب العلاقة . نهاية القول فيما سبق ، نضيف أن الشاعر الجاهلي لم يكن معنيا لا بأصل معجمي ولا بانتقال مجازي ، وإنما كان يضع الكلمة المفردة في مواضع يرتضي ما تمنحه هذه المواضع لتلك الكلمة من دلالات ، وهو المبدأ الذي قرأنا على ضوئه الأمثل الثلاث في مدونة الدراسة . هذا فيما يخص المجاز المرسل ، أما ما يتعلق بموضوعنا : الخطاب الأخلاقي ، فنجد أن أبيات المجاز الثلاثة خاصة بالفخر إما بالفروسية أو الفصاحة ، وفيما يبدو أن العربي الجاهلي كان يرى الاثنتين من كمال أخلاقه ، أو لنقل من لوازمها ، إذ كيف يكون ذا نجدة ومروءة وهو منتقص الفروسية ، أو كيف يكون كريما جوادا وهو لا يحكم كلامه ، مع ملاحظة العلاقة بين الإحكام والحكمة من علاقة يؤكد عليها الجذر اللغوي الواحد .

ب- الاستعارة :-

الاستعارة قسيمة المجاز المرسل ، بل كادت تكون إياه لولا نوع العلاقة القائمة فيها على المشابهة ، ومن ثم كان البلاغيون يتلون كلامهم في التشبيه بها قبل المجاز المرسل ، غير أننا أخرنا الكلام فيها رعاية لمفهوم العلاقة . وهي- أعني الاستعارة -تشبيه حذف أحد طرفيه ، سواء المشبه أو المشبه به ، بحسب ذكر المشبه به وحذفه ، فما ذكر فيها كانت "تصريحية" وما حذف منها كانت "مكنية" . ثم تتوزع بحسب لفظها والملائم إلى أنواع ليس هنا معرض تفصيلها ، وإنما متى ورد الشاهد حددنا نوع الاستعارة ..

من أمثلة المدونة

وردت الاستعارات ، في ثلاثين بيتا من مدونة الدراسة تقريبا ، لحوالي تسعة عشر شاعرا . وهذه النسبة الضئيلة قياسا على أبيات المدونة وشعرائها ، تلفتنا إلى أن هذه التقنية البلاغية لم يكن الشاعر الجاهلي ينظر إلى إمكاناتها الجمالية ، بقدر ما كان أكثر اهتماما بدورها ، أو لنقل بوظيفتها في أداء الموضوع . هذا بالإضافة إلى وجود ما يشبه تقارض الاستعارات في الموضوع الواحد ، وبخاصة في وقاية الأعراض بالمال . الأمر الذي يؤكد على ما نذهب إليه من تبعية الاستعارة للموضوع . وقد ارتكزت استعارات المدونة على عدة أسس موضوعاتية أهمها : وقاية العرض – إهلاك المال – الجمع بين مكارم الأخلاق – تحمّل المكاره – النسب ..

نماذج :-

١- يقول تأبط شرا :

بل منْ لعذّالةً خذّالةِ أشبٍ .·. حَرَّقَ بِاللّوْمِ جِلْدِي أيَّ تَحْراقِ

يقولَ أهلكتَ مالاً لو قنعتَ به .·. من ثوبِ صدقٍ ومن بزٍّ وأعلاقِ[١٦١]

تبدو الاستعارة الأولى : "حرّق باللوم جلدي" وقد أتت بعد فاعل مقدم أخذ صيغة المبالغة : "فعّال" وبولغ فيها بإضافة "تاء التأنيث" إليها كذلك " "عذّالة" ، ثم امتلكت صفة على الوزن نفسه : "خذّالة" هي "أشب" وهو صيغة فاعل من "أشَبَهُ يأْشِبُهُ أشْباً : لامه وعابه، وقيل : قذفه وخلط عليه بالكذب"[١٦٢] ، أما الصفة الثالثة فقد انتقلت من التقرير إلى التصوير ، ومن الوصف إلى التشبيه مرتفعة به إلى الاستعارة المكنية فقد حذفت "النار" وأتي بأمكن صفاتها وأقواها وهي التحريق . إن الاستعارة – هنا – لا تقدم صورة "المتكلم" وهو يتعذب من تأثير اللوم على مسامعه ، بل يصور اللوم في ذاته ثم يترك للمتلقي تصور حركته وهو يحاول ، وأنّى له ، أن يكف نار اللوم التي اشتعلت في أذنيه فعمت جلده .. إنها – أي الاستعارة – تعمل عمل "الدال" اللغوي ينطقه المتكلم فيحيل إلى مدلوله في ذهن المستمع ، غير أن جمال الدال الاستعاري أنه يتوارى خلف دال آخر ، بوساطة علاقة التشابه التي تشفّ عن الدال الأصلي ..

وعلى الرغم من ذلك نجد موقع هذه الاستعارة من سياقها موقعا تابعا لما قبلها ، بمعنى أنها لا تؤسس ، إبداعيا ، لسياقها ، بل يفرضها السياق فرضا ، فهي لا تخرج عن كونها صفة مثلها مثل الصفتين السابقتين عليها ، وهو الأمر الذي أشرنا إليه سابقا من تبعية الاستعارة لموضوعها شرحا وتبيانا . يتأكد هذا في الاستعارة الثانية التي هي مقول قول اللائم : "يقول أهلكت مالا .." ، والهلاك : الموت كما في لسان العرب[١٦٣] والمال لا يهلك وإنما يُنفق ، لكن علاقة المشابهة بين "الإنفاق" و"الإهلاك" يسرت للشاعر طريقا ميسّرا ، في الأصل ، إلى الاستعارة التي تتردد أصداؤها في استعارات كثر في مدونة الدراسة ، ولكن بتوضيح السبب :–

يقول الحادرة :

ونقي بآمن مالنا أحسابنا ونجر في الهيجا الرماح وندّعي[١٦٤]

ويقول ذو الإصبع العدواني :

أجعل مالي دون الدّنا غرضا وأما وهي ملأمور فانصدعا[١٦٥]

ويقول المرقش الأكبر :

---

161 – المفضليات – ص : ٣٠

162 – لسان العرب – ص : ٨٤

163 – لسان العرب – ص : ٤٦٨٦

164 – المفضليات – ص : ٤٥

165 – المفضليات – ص : ١٥٤

أموالنا نقي النفوس بها من كل مايُدْني إليه الـــــذَّم[١٦٦]

ويقول المثقب العبدي :

أجعل المال لعرضي جُنَّة إن خير المال ماأدَّى الذِّمـــــم[١٦٧]

ويقول حاجب بن حبيب الأسدي :

والمعطيان ابتغاء الحمد مالهما والحمد لا يُشتَرَى إلاّ بأثمان[١٦٨]

ويقول علقمة بن عبدة التميمي :

والحمد لا يشترى إلاَّ له ثمن مما يضن به الأقوام معلوم[١٦٩]

ومجمل الاستعارات السابقة تعود إلى الخلق العربي الجامع : "الكرم" ، هذا الذي بـــه يُمتـــدح الناس به ويفتخرون ، وإليه يرتكز الفخر بالأحساب والأنساب .

٢- يقول "بشر بن عمرو بن مرثد البكري" :

في إخوة جمعوا ندىً وسماحةً .·. هُضُمُ إذا أزَمَ الشتاءِ تزَعَّبا[١٧٠]

إن "جمعوا" – هنا – مستعملة بدلا من "اتصفوا" ، ولما كان اتصاف الواحد ، أو الجماعة من الناس ، بأكثر من صفة ، صار ثمة وجه شبه بين "الجمع" و"الاتصاف" أمكن الانتقال بدلالة اللفظ إلـــى دلالة أخرى ، لتتحول "السماحة" و"الندى" المعنويتان إلى شيئين ماديين يجمعان ويلمّان ، فتتولّد دلالة حافة أخرى ، هي مطلق الجمع كأن لم يتركا من أي من الاثنيتن شيئا . إن هذا التحول اللافـــت مـــن المعنوي إلى المادي عبر علاقة المشابهة يتكرر في أكثر من بيت في مدونة الدراسة كما في الأبيـــات التالية :

يقول "معاوية بن مالك بن جعفر العامري" :

ألفوا أباهم سيّداً وأعانهم .·. كرم وأعمام لهم وجدود[١٧١]

ويقول "خراشة بن عمرو العبسي" :

وأطول في دار الحفاظ إقامة .·. وأربط أحلاما إذا البقل أجهلا[١٧٢]

ويقول "الخصفي عامر المحاربي" :

---

166 – المفضليات – ص : ٢٤٠

167 – المفضليات – ص : ٢٩٥

168 – المفضليات – ص : ٣٧١

169 – المفضليات – ص : ٤٠١

170 – المفضليات – ص : ٢٧٦

171 – المفضليات – ص : ٣٥٥

172 – المفضليات – ص : ٤٠٥

ونرسي إلى جرثومة أدركت لنا ∴ حديثا وعاديا من المجد خضرما[173]

هذا التضافر بين الكرم والأحساب ، والتحول مجازيا من المعنوي إلى المادي ، يختزله شاعر المفضليات في مفردة "العزة"

٣- ويقول الشاعر نفسه :

لنا العزة القعساء نختطم العدى ∴ بها ثم نستعصي بها أن نُخطما[174]

للسياق في الاستعارة السابقة أثره في توجيه الدلالة ، حيث إن الآخر/العدى حين يقف ضدا للعزة القعساء لا يكون له إلا موقع "الذل" ، ومن ثم تمهّد لاختيار الفعل الذي يعود إلى الحقل الحيواني : "خطم" ليستخدمه استعاريا مرتين ، مرة مبنيا للمعلوم ، وهو جماعة المتكلمين/قبيلة الشاعر ، وأخرى مبنيا للمجهول واقعا وجملته موقع المفعول للفعل نستعصي ، وفي كل تتكرر شبه الجملة "بها" ، وفي كل تعود "الهاء" إلى الكلمة المرتكز في الاستعارة/الاستعارتين : "العزة القعساء" ..

خطم الناقة جعل لها خطاما ، وخطم الرجل خطمه من أنفه ، والخطام الزمام يقاد به البعير وسواه[175]، والاستعارة هنا مكنية شبه الشاعر فيها العدى بالإبل المخطومة وحذف المشبه به وهو الإبل وأبقى من لوازمها الخطم . ومن المعروف أثر الخطام في الإبل من إخضاعها وتذليلها . ثم يعود الشاعر مرة أخرى ليستخدم الاستعارة نفسها في سياق النفي (نستعصي) ، ولكن نلاحظ اختلاف الصيغة بين الفعلين في الاستعارتين (اختطم- خطم) مما يفرض اختلاف توجيه كل منهما ، وقد سبق في الدلالة المعجمية أن الفعل خطم ينصرف إلى البعير وسواه للدلالة على تذليل الحيوان وإخضاعه كما تنصرف إلى الإنسان بوضع علامة ذل على أنفه معنى آخر. أما المعنى الأول فاستخدم في الاستعارة الأولى ، ثم يمنع اختلاف الصيغة الصرفية في الاستعارة الثانية فعل هذا المعنى فيها ، وبالتالي لا يبقى إلا المعنى الخاص بالإنسان . والفرق كبير بين تذليل العدى كانهم إبل/حيوانات وبين مجرد وسم الأنف . كأن الشاعر يقيم تناقضا بين الاستعارتين على الرغم من أساسهما التشبيهي الواحد ، وهو ما يتوازى مع التناقض الأول الذي اقترحه السياق بين عزة قبيلة الشاعر وعداها .. هذا الفخر بالذات والقبيلة في مواجهة أعدائهما يتردد في استعارات أخرى أهمها :

يقول ضمرة بن ضمرة النهشلي التميمي :

أذيق الصديق رأفتي وإحاطتي ∴ وقد يشتكي مني العداة الأباعد[176]

---

173 - المفضليات – ص : ٣٢٠

174 - المفضليات – ص : ٣٢٠

175 - راجع : ابن منظور- لسان العرب- مرجع سابق- ص

176 - المفضليات- ص :٣٢٥

وما أنا بالساعي ليحرز نفسه ∴ ولكنني عن عـورة الحي ذائد[١٧٧]

ويقول الشنفرى : وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ∴ ومر إذا نفس العزوف استمرّت[١٧٨]

ثالثا : المجاز العقلي

ويلتحق بالمجاز في المفرد : المجاز المرسل والاستعارة ، مجاز من نوع آخر ، هو المجـاز في المركب ، أو الجملة ، أو ما يطلق عليه المجاز الحكمـي أو العقلـي ، وهـو – وإن رآه بعـض المحدثين ناتجا عن التركيب فيجب إلحاقه بعلم المعاني ، إلا أن أسلافنا كان ينظرون إلى الناتج ، ومن ثم فقد أصابوا إذ جعلوه في علم البيان ، كما أن الجامع الاصطلاحي بين المرسـل والعقلـي ، أعنـي نوعي "المجاز" ، مبرر ثان لتصنيف تراثنا له حيث صنفوه . يعرف "السكاكي" المجاز العقلي بقولـه : "المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع .. ويسمّى هذا النوع مجازا لتغدّي الحكم فيه عن مكانه الأصلي .. ويسمّى عقليـا لا لغويا لعدم رجوعه إلى الوضع"[١٧٩] .. إنه – بوضوح أكثر – هذا النوع من المجاز الذي يـسند فيـه الفعل إلى غير فاعله الواقعي[١٨٠] ، مع ملاحظة أن الألفاظ فيه مستخدمة في معانيها الوضـعية[١٨١] . ومن الجمع بين الإسناد إلى غير الفاعل اللغوي وبقاء الألفاظ في دلالتها الوضعية ينشأ هذا النوع من المجاز الذي يطلق عليه المجاز الإسنادي أو التركيبي .

من أمثلة المدونة

١– يقول راشد بن شهاب اليشكري :

بنيت بثاج مجدلا من حجارة ∴ لأجعله عزا على رغم من رغم[١٨٢]

٢– ويقول الخصفي عامر المحاربي :

بنى من بنى منهم بناء فمكنوا ∴ مكانا لنا منه رفيعا وسلما[١٨٣]

٣– ويقول عوف بن عطية :

فما زادني الشيب إلا ندى ∴ إذا استروح المرضعات القُتارا[١٨٤]

---

177 – المفضليات – ص : ٣٢٥

178 – المفضليات – ص : ١١٢

179– السكاكي – مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص : ٣٩٣ ثم ٣٩٥

180– نقول الفاعل الواقعي لنخرج من النقاش العقائدي حول الفاعل الحقيقي [سبحانه وتعالى] والفاعل المجازي .

181– راجع : د.أحمد مطلوب – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – مرجع سابق – الجزء الثالث– ص : ١٩٩

182 – المفضليات – ص : ٣٠٩

183 – المفضليات – ص : ٣٢٠

184 – المفضليات – ص : ٤١٣

إن مفهوم المجاز الإسنادي يبين إلى أي حد هو باب شديد الاتساع لإنتاج شعرية اللغة دون الخروج على الدلالة الوضعية ، غير أن طبيعة المرحلة الشعرية (الجاهلية) ، فضلا عن تبعية الظواهر البلاغية للموضوع في مدونة الدراسة ، جعل هذا النوع من المجاز أقل وجودا بالمقارنة بالمجاز اللغوي . ففي الأمثلة السابقة نجد أن تأويل إسناد الفعل إلى غير فاعله الواقعي سهل قريب لا يحتكم فيه المؤول إلى غير المنطق من جهة ولا يمتد تأويله إلى الفعل في دلالة سياقه أو الانفعال بدلالته .. ففعل البناء المسند إلى المتكلم في البيت الأول ، وإلى بعض جماعة الغائبين (منهم) غير متصوّر عقل ، إنما يقوم بالفعل أهل صناعته وليس سواهم ، فكأن الشاعر يكافئ بين إرادة البناء وبين فعله ، فلولا هذه الإرادة ما كان الفعل ولا فاعلوه الواقعيون . وباعتبار غياب التصريح بتلك الإرادة ، يصاحب المجازَ العقليَّ إطنابٌ بلاغيٌّ ، يسلط الضوء على ما وراءها في البيت الأول : (لأجعله ..) ، أو نواتجها : (فمكّنوا ..) .. أما البيت الأخير فيمتلك قدرا من الخصوصية لأسلوب القصر الذي قامت عليه جملة المجاز : "فما زادني السيب إلا ندى" ، وكذلك دلالة الاقتضاء التي تتضمنها . أما دلالة الاقتضاء فهي كون المتكلم كريما من قبل شيبه ، فلما طعن في العمر زاده شيبه كرما فلم تتغير خصاله الحميدة بتغير أحواله من الشباب والفتوة والقدرة على الكسب إلى الشيب والضعف عن الكسب . ودلالة اقتضائية أخرى ففي الجملة تعريض بسواه ، وكأنه يقول إذا كانت شيخوخة الآخرين تلجؤهم من الكرم إلى الحرص والبخل فقد زادته شيخوخته كرما على كرمه السابق ، ويظاهر هذه الدلالة أسلوب القصر مؤكدا عليها . في ظل هذا يبدو إسناد الزيادة في الكرم إلى غير فاعله : "الشيب" ضرورة أدائية من جهة ، ومن جهة أخرى تحتاج معرفة الفاعل الواقعي إلى جهد ، فليس هو سهل ، ولا هو بالقريب ، وإنما يحتاج المؤول إلى كثير من الجهد على ضمير المتكلم (الياء) لاستجلاء شخصية الشاعر ونسبه وبيئته حتى يفارق معتاد الناس إذا شابوا فلا يظل على ما كان في شبابه من كرم ، بل يزداد كرما على كرم .

رابعا : الكناية :-

الكناية ظاهرة بيانية على قدر كبير من الأهمية نظرا لما تنطوي عليه من خصوصية تفردها من بين جميع الظواهر الأخرى ، فهي توسّع في اللغة عن طريق العلاقات المعقولة بين الكلمات ، من حيث أن بعض الألفاظ تستدعي عبر العقل معاني ألفاظ أخرى ، ويستثمر المبدع هذه العلاقات في أداء المعاني بطرق مختلفة في درجة وضوح الدلالة عليها كما هو الحال في تعريف علم البيان . أما تعريف الكناية فيقول السكاكي أنها "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك .. وسمي هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح ، ودلالة كنى على ذلك ، لأن ك ، ن ، ي ، كيفما تركبت ، دارت مع تأدية معنى الخفاء .. ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض ، وتلويح ،

ورمز ، وإيماء ، وإشارة"[١٨٥] وذلك بحسب عدد الوسائط بين المعنيين اللازم والملزوم . وقد سبق لعبد القاهر أن عرض للكناية مبينا أثرها الجماليّ قائلا : "هذا فن من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ ، وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب . وإذ فعلوا ذلك ، بدت هناك محاسن تملأ الطرْف ، ودقائق تُعجز الوصف ، ورأيت هنالك شعرا شاعرا ، وسحرا ساحرا ، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق والخطيب المصقع"[١٨٦] والسبب في ذلك هو التوصل إلى المعنى المراد "من طريق المعقول دون طريق اللفظ."[١٨٧] ومما تمتاز بها الكناية من جميع الظواهر البيانية عموما والمجاز خصوصا ما قاله السكاكي من "أن الكناية لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فلا يمتنع في قولك : فلان طويل النجاد ، أن تريد طول نجاده من غير تاوّل مع إرادة طول قامته . وفي قولك : فلانة نؤوم الضحى، أن تريد انها تنام الضحى ، لا عن تأويل يرتكب في ذلك ، مع إرادة كونها مخدومة مرفهة"[١٨٨] وخلاصة القول في الكناية أنها لفظ أريد بها لازم معناه مع عدم امتناع المعنى الأصلي وتنقسم إلى أنواع ثلاثة : كناية عن صفة ، وأخرى عن موصوف ، وأخيرة عن نسبة بين الصفة والموصوف ، ثم تكون تعريضا أو رمزا أو تلويحا أو إيماء ، بحسب عدد الوسائط .

من أمثلة المدونة

تتعدد أمثلة الكناية بأنواعها الثلاثة في مدونة الدراسة ، وبرغم هذا التنوع فعددها قليل جدا ، ويبدو أن شعراء المدونة كانوا أكثر شغفا بالتصريح وأقل اهتماما بالكناية نظرا لطبيعة الموضوع الأخلاقي الذي يغلب عليه الفخر ، والتصريح أولى من الكناية في الفخر .

- الكناية عن موصوف :-

يقول تأبط شرا :

حمّال ألوية ، شهّاد أندية .·. قوّال محكمة ، جوّاب آفاق[١٨٩]

تقول امرأة من بني حنيفة :

ألا هلك امرؤ حبّاس مال .·. على العلاّت متلاف مفيد[١٩٠]

185- السكاكي – مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص : ٤٠٢ ، ٤٠٣

186- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – مرجع سابق – ص : ٣٠٦

187- المرجع نفسه – ص : ٤٣١

188- السكاكي – مفتاح العلوم – مرجع سابق – ص : ٤٠٣

189 – المفضليات – ص : ٢٩

190 – المفضليات – ص : ٢٧٣

يقول المرقّش الأكبر

شعثٌ مقادمنا ، نُهبى مراجلنا .·. نأسو بأموالنا آثار أيدينا[١٩١]

يقول عبد قيس بن خُفاف :

وأصبحت لا نزقا باللحاء .·. ولا للحوم صديقي أكولا[١٩٢]

نظرا لأن التصريح ، في موضوع الأخلاق والفخر بها ، أولى من التكنية ، فقد جاءت – حتى– الكنايات واضحة لا يكتنفها أي غموض ، وكلها تدور حول الأخلاقيات العربية إلى حد يدفع إلى الظن بأن معظم هذه التعابير الكنائية كانت شائعة في البيئة الجاهلية لدرجة يمكن اعتبارها صياغات مسكوكة (كليشيهات) . وعلى سبيل المثال نجد صيغة المبالغة "فعّال" ، والتي أسهمت في بناء عدد من الكنايات ، تتردد من تأبط شرا وهو شاعر معروف إلى امرأة من بني حنيفة ، لم يجد الراوي "المفضل الضبي" داعيا إلى البحث عن اسمها . هذا فضلا عن الجامع الدلالي بين جميع الكنايات السابقة ، ف"حمال ألوية" تتجاوب مع "شعث مقادمنا" ، و"نهبى مراجلنا" مع "حبّاس مال على العلات" ، وكذلك "نأسو بأموالنا" ، وتدخل "ولا للحوم صديقي أكولا" جزءا من دلالة "قوّال محكمة".

– الكناية عن صفة :–

يقول سنان بن أبي حارثة المرّي

قد يعلم القوم إذ طالت غزاتهم .·. وأرملوا الزاد أني منفد زادي[١٩٣]

يقول سلامة بن جندل

كنا إذا ما أتانا صارخ فزِع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب[١٩٤]

ولا يختلف أمر وضوح الكناية من الموصوف إلى الصفة ، ففي البيتين السابقين كنايتان شديدتا الوضوح ، في البيت الأول كناية عن الكرم : "منفد زادي" ، وفي الآخر كناية عن النجدة : "قرع الظنابيب" .

– الكناية عن نسبة :–

يقول الحادرة

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا ... زمنا ويظعن غيرنا للأمرع[١٩٥]

---

191 – المفضليات – ص : ٤٣١

192 – المفضليات – ص : ٣٨٦

193 – المفضليات – ص : ٣٥١

194 – المفضليات – ص : ١٢٤

195 – المفضليات – ص : ٤٥

يقول خراشة بن عمرو العبسي

وأطول في دار الحفاظ إقامة ... وأربط أحلاما إذا البقل أجهلا[١٩٦]

تستمر سمة الوضوح ، والتي أشرنا إليها سلفا ، في الكناية عن النسبة ، كما تتكرر الصياغات المسكوكة نفسها : "دار الحفاظ" كناية عن منعة ساكنيها وعزتهم . والأكثر إدهاشا أن يرافق هذا التكرار تكرار آخر لفعل الإقامة في البيت الأول ومصدره في الآخر. ومن الملاحظ في كل الكنايات بأنواعها الثلاثة تعطل فاعلية السياق فيها وكذلك تعطل انفعاله بها دلاليا مما يشير إلى أن المقصود من تلك الكنايات هو مجرد الانتقال من لازم دلالة اللفظ إلى ملزومها فحسب . إنها مجرد تصرف بدلالة اللفظ يتبع نهجا مطروقا وأسلوبية شائعة في التعبير الأخلاقي .

الخاتمة :

لإنتاج الدلالة في الشعر قوانين تتنوّع وتتعدّد تنوّع النصوص الشعرية وتعدّدها ، إذ إن الشعرية لا تأخذ مسارا واحدا ، فهي تبدع نقاط ارتكازها ، وتبدع في إخفائها في الوقت نفسه ، ولعل أكثر تلك النقاط خفاء هو الموضوع الشعري ، هذا الذي أهملته الشعرية الحديثة إهمالا تاما منكفئة على اللغة دونما اعتبار لكون بعض النصوص تتحقق شعرية لغتها من خلال الموضوع . وقد حاولت هذه الدراسة مقاربة الأسلوبية الشعرية بارتكازها على ذلك المهمل : "الموضوع الشعري"/"الأخلاق" ، من خلال كتاب "المفضليات" . وكان لاختبار فاعلية "الموضوع" في إنتاج الدلالة الشعرية نوعان من النتائج : نتائج عامة تخص منهج الدراسة ، وأخرى خاصة بموضوع الدراسة ، وأهم هذه النتائج ما يلي :-

النتائج الخاصة بمنهج الدراسة :

- لا إمكان لدراسة المعجم الشعري في أي نص دونما اعتبار للموضوع ، إذ إن الموضوع له مداخلته على فاعلية المبدع على محور الاختيار .

- لا تتوقف مداخلة الموضوع على محور الاختيار عند مجرد اختيار المفردة ، فهذه المفردة لها شروطها على المفردة التي ستتعالق بها ، هذه الشروط التي تعيد توجيه فاعلية الموضوع مرة أخرى على محور الاختيار .

- وتصرّف المبدع بالعلاقة بين المفردات على محور التوزيع ، لا يستطيع التحرر تماما من الموضوع وفاعليته ، وإن أخذت هذه الفاعلية وظيفة مراقبة التركيب والتعديل عليه .

- وحتى حين يتجاوز المبدع مستوى التركيب نزعا إلى التصوير (البياني) يضبط الموضوع درجة وضوح الصورة بحسب طبيعته من جهة ومقتضياته من جهة أخرى .

---

[196] - المفضليات – ص : ٤٠٥

النتائج الخاصة بموضوع الدراسة :

- الموضوع الأخلاقي يفترض ، بل يفرض درجة عالية من الوضوح نجدها في كل مستويات النص الشعري ، بدءا من المفردة ووصولا إلى الصورة .

- اعتمد المعجم الشعري للموضوع الأخلاقي دائرة ضيقة من الكلمات/المرتكزات الإفرادية ذات الوضوح المعجمي والشيوع التداولي الاجتماعي ، ثم أثرى كل مرتكز من هذه المرتكزات بعدد غير قليل من الكلمات التي وسعت من دائرته من جهة ، واستمدت من دلالته من جهة أخرى .

- تنوعت الأساليب في مدونة الدراسة بين اتباع القاعدة والخروج عليها ، وضابط كل من الاتباع والخروج هو الموضوع الذي تمكن من الحضور الواضح في النوعين .

- إزاء الوضوح الذي فرضه الموضوع على كل من الاختيار والتوزيع ، كان لجدل الواقعة الأسلوبية وسياقها أثره البالغ في إنتاج الدلالة الشعرية .

- ولم تخرج الأسلوبية التصويرية (البيانية) ، لا عن شرط الوضوح ، ولا عن فاعلية جدل السياق معها ، اللهم إلا في المجاز العقلي والكناية .

- رصدت الدراسة أنماطا غير قليلة من الصياغات المسكوكة ، أو ما يطلق عليه "الكليشيهات" ، في أكثر من موضع .

- أخيرا ، فإن الدراسة تبين أن قراءة شعرنا القديم – أيا كان منهج الدراسة – لابد لها من وضع "الموضوع" باعتبارها ، وما كان اهتمام نقدنا القديم بتصنيف الشعر بحسب الأغراض إلا إلماعة إلى دور الغرض أو الموضوع في صناعة شعرية النص وإنتاج دلالتها . كما أن المنهجيات الحديثة لا يمتنع معها أن نلجأ إلى تراثنا وبخاصة في المواضع التي تفرضها طبيعة النص .

ملاحق

م	البيت	الشاعر	الصفحة
١	لكنما عولي إن كنت ذا عـول على بصير بكسب الحمد سبَّاق	تأبَّط شرًّا	٢٩
٢	سباق غايات مجد في عشيرته مرجِّع الصوت هدَّا بين آفـاق	"	٢٩
٣	عاري الظنابيب ، ممتد نواشره مدلاج،أدهم،واهي الماء غساق	"	٢٩
٤	حمَّال ألوية ، شهَّاد أنديـة قوَّل محكمة ، جوَّاب آفـاق	"	٢٩
٥	بل من لعذَّالةٍ خذَّالةٍ أشـبٍ حرَّقَ باللوم جلدي أيَّ تحـراق	"	٣٠
٦	يقول أهلكتَ مالا لو قنعت بـه من ثوب صدقٍ ومن بزٍّ وأعلاق	"	٣٠
٧	إنَّا نعف فلا نريب حليفنـا ونكف شُحَّ نفوسنا في المطمع	الحادرة	٤٥
٨	ونقي بآمن مالنا أحسابنـا ونجرُّ في الهيجا الرِّماح وندَّعي	"	٤٥
٩	ونخوض غمرة كل يوم كريهةٍ تُردي النفوس وغُنْمها للأشجع	"	٤٥
١٠	ونقيم في دار الحفاظ بيوتنـا زمنا ، ويرحل غيرنا للأمرع	"	٤٥
١١	ومحلِّ مجدٍ لا يُسرَّحُ أهـله يوم الإقامة والحلول لمـرتع	"	٤٥
١٢	أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرِّقٌ ليَحُلَّ بـالأوزاع	المسيب بن	٦٣
١٣	ولأنت أجودُ منْ خليجٍ مفعـمٍ متراكمُ الآذيِّ ذي دُفَّـاع	علس	٦٣
١٤	وكأنَّ بُلْقَ الخيلِ في حافاتـه يرمي بهنَّ دوالي الـزُّرَّاعِ	"	٦٣
١٥	ولأنت أشجع في الأعادي كلِّها من مخدرٍ ليثٍ معيدٍ وقـاعِ	"	٦٣
١٦	يأتي على القوم الكثيرِ سلاحهم فيبيت منه القوم في وعـواعِ	"	٦٣
١٧	أنت الوفيُّ فما تُذَمُّ ، وبعضهم تُودي بذمَّتِه عُقابُ مَـلاعِ	"	٦٣
١٨	وإذا رماهُ الكاشحون رماهُـمُ بمعابلٍ مَنْزوبةٍ وقَطـاعِ	"	٦٣
١٩	ولذاكمُ زعمت تميمٌ أنَّـه أهلُ السماحةِ والندى والباعِ	"	٦٣
٢٠	صبرنا وكان الصبر فينا سجيَّةً بأسيافنا يقطعن كفًّا ومعصما	الحصين بن	٦٥
٢١	فلستُ بمبتاع الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مُبتغٍ من رهبة الموت سُلَّما	الحُمام المُرِّيّ	٦٩
٢٢	ولقد أُصاحب صاحبا ذا مـأقةٍ بِصحابِ مُطَّلِعِ الأذى نقـريس	عبد الله بن	١٠٧
٢٣	ولقد أُزاحم ذا الشَّداةِ بمزحـمٍ صعبِ البُداهةِ ذي شذًا وشريسِ	سلمة	١٠٧
٢٤	ولقد ألين لكل باغي نـعمةٍ ولقد أجازي أهل كلِّ حـويسِ	"	١٠٧
٢٥	ولقد أداوي داءَ كُلِّ معبَّـدٍ بعنيَّةٍ غلبت على النِّطِّـيسِ	"	١٠٧
٢٦	وإنِّي لحُلْوٌ إنْ أُريدتْ حلاوتـي ومُرٌّ إذا نفس العزوف استمرَّتِ	الشنفرى	١١٢
٢٧	أبِيٌّ لِما آبى سريعٌ مباءتـي إلى كل نفسٍ تنتحي في مسرَّتي	"	١١٢

٢٨	إلى تميمٍ حُماةِ العزِّ نسبتهم وكلُّ ذي حسبٍ في الناس منسوبِ	سلامة بن جندل	١٢٤
٢٩	قومٌ ، إذا صرَّحتْ كحلٌ،بيوتهم عزُّ الذَّليلِ ومأوى كلِّ قُرْضُوبِ	"	١٢٤
٣٠	كنَّ إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ كان الصراخ له وقعُ الظنابيبِ	"	١٢٤
٣١	إنْ تزْعُما أنَّني كبرتُ فلم أُلْفَ بخيلا نكْسًا ولا ورعا	ذو الإصبع	١٥٤
٣٢	أجعلُ مالي دون الدَّنا غرضًا وما وهَى ملأمور فانصدعا	العَدَواني	١٥٤
٣٣	وقد علمتْ عِرْسي مُليْكةُ أنَّني أنا الليثُ معدوًّا عليَّ وعاديا	عبد يغوث بن	١٥٨
٣٤	وقد كنتُ نحَّارَ الجزورِ ومُعْمِلَ المَطِيِّ وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا	وقاص الحارثي	١٥٨
٣٥	وأنحرُ للشَّرْبِ الكرامِ مطيَّتي وأصدعُ بين القينتين ردائيا	"	١٥٨
٣٦	وكنتُ إذا ما الخيلُ شمَّصها القنا لبيقا بتصريف القناة بنانيا	"	١٥٨
٣٧	إنِّي لعمرك ما بابي بذي غلقٍ عن الصديق ولا خيري بممنون	ذو الإصبع	١٦٠
٣٨	ولا لساني على الأدنى بمنطلقٍ بالفاحشاتِ ولا فتكي بمأمونِ	العدواني	١٦٠
٣٩	عفٌّ يؤوسٌ إذا ما خفتُ من بلدٍ هونا فلست بوقَّافٍ على الهونِ	"	١٦٠
٤٠	إنَّ أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظةٍ وابن أبيٍّ أبيٍّ من أبيِّين	"	١٦٠
٤١	كُلُّ امرئٍ راجعٌ يوما لشيمته وإنْ تخالقَ أخلاقا إلى حينِ	"	١٦٠
٤٢	لا يُخْرِجُ الكُرْهُ منِّي غير مأْبِيَةٍ ولا ألينُ لمَنْ لا يبتغي ليني	"	١٦١
٤٣	عندي خلائقُ أقوامٍ ذوي حسبٍ آخرون كثيرٌ كُلُّهُمْ دوني	"	١٦٣
٤٤	يا عمرولولنتَ لي ألفيتني يسرًا سمحًا كريمًا أجازي من يجازيني	"	١٦٤
٤٥	ومستنبحٍ يخشى القواء ودونه من الليلِ بابا ظلمةٍ وستورها	عوف بن	١٧٦
٤٦	رفعتُ لهُ ناري فلمَّا اهتدى بها زجرتُ كلابي أنْ يهرَّ عقورُها	الأحوص	١٧٦
٤٧	فلا تسأليني واسئلي عن خليقتي إذا ردَّ عافي القدرَ من يستعيرها	"	١٧٦
٤٨	وإنِّي لترَّاك الضغينة قد بدا ثراها من المولى فلا أستثيرها	"	١٧٧
٤٩	مخافة أن تجني عليَّ ، وإنَّما يهيجُ كبيراتِ الأمورِ صغيرها	"	١٧٧
٥٠	لكنَّنا قومٌ أهاب بنا في قومنا عفافةٌ وكرمُ	المرقش الأكبر	٢٤٠
٥١	أموالنا نقي النفوسَ بها من كلِّ ما يدني إليه الذَّمُ	"	٢٤٠
٥٢	فمَنْ يَلْقَ خيرًا يحمد الناس أمره ومن يغْوِ لايعدم على الغَيِّ لائما	المرقش الأصغر	٢٤٧
٥٣	عجبًا ما عجبتُ للعاقدِ الما لِ وريبُ الزَّمانِ جمُّ الخُيولِ	"	٢٥١
٥٤	ويُضيعُ الَّذي يصيرُ إليه منْ شقاءٍ أو مُلْكِ خُلْدٍ بَجيلِ	"	٢٥١
٥٥	أجْمِلِ العيشَ إنَّ رزقَكَ آتٍ لا يَرُدُّ الترقيحُ شروى فتيلِ	"	٢٥١
٥٦	وإذا اللقاح تروَّحتْ بعشيَّةٍ رَتْكَ النَّعامِ إلى كنيفِ العَرْفَجِ	الحارث بن	٢٥٦

٥٧	ألفيتنا للضيف خيرَ عمارةٍ	إنْ لمْ يكُنْ لبنٌ فعطفُ المُدْمَجِ	حلِّزة	٢٥٦
٥٨	فلا خيرَ فيما يكذبُ المرءُنفْسهُ	وتقوالهِ للشيْءِ:يا ليت ذا ليا	"	٢٦١
٥٩	فَطَأْ مُعْرِضًا،إنَّ الحُتُوفَ كثيرةٌ	وإنَّكَ لا تُبْقي بمالكَ بـــاقيا	أُقْنون التغلبي	٢٦١
٦٠	لَعَمْرُكَ ما يدري امْرُؤٌ كيف يتَّقي	إذا هو لَمْ يجْعَلْ لهُ اللهَ واقيا	"	٢٦١
٦١	ألاَ هَلَكَ ابْنُ قُرَّانَ الحميدُ	أخو الْجَلَّى أبو عمرٍو يزيدُ	امرأة من بني	٢٧٣
٦٢	ألاَ هلك امرؤٌ ، هلكتْ رجالٌ	فَلَمْ تُفْقَدْ ، وكانَ لهُ الفقودُ	حنيفة	٢٧٣
٦٣	ألا هلك امرؤٌ حبَّاسُ مـــالٍ	على العلاَّت متلافٌ مُفيـدُ	"	٢٧٣
٦٤	في إخوةٍ جمعوا ندًى وسماحةً	هُضُمٌ إذا أزمُ الشِّتاءِ تزعَّبَا	بِشْرُ بن عمرو	٢٧٦
٦٥	وتراهُمُ يغشَى الرَّفيضُ جُلُودَهُمْ	طَنِزِينَ يُسْقَوْنَ الرَّحيقَ الأصْهبا	بن مرثد البكري	٢٧٧
٦٦	غَلَبَتْ سماحتُهُمْ وكثْرةُ مالِهِمْ	لَزَبَاتِ دَهْرِ السُّوءِ حتَّى تَذْهبـا	"	٢٧٧
٦٧	وترَى الَّذي يعـفُوهُمُ لِحبائِهِمْ	يُحْبَى ويرجو منهُمُ أنْ يَرْكَـبا	"	٢٧٧
٦٨	لا تَقُولَنَّ إذا ما لمْ تُرِدْ	أن تُتِمَّ الوعْدَ في شيْءٍ "تَعَمْ"	المُثَقِّبُ العبْدي	٢٩٣
٦٩	حَسَنٌ قَولُ "نعم" من بعد "لا"	وقبيحٌ قولُ "لا" بعـــد "نعمْ"	"	٢٩٣
٧٠	إنَّ "لا" بعد "نعم" فاحشـــةٌ	فَبِـ"لا" فابْدأْ إذا خِفْتَ النَّـدَمْ	"	٢٩٣
٧١	فَإذا قُلْتَ "نعمْ" فَاصْبِرْ لها	بِنَجاحِ القَوْلِ، إنَّ الخُلْـفَ ذَمْ	"	٢٩٣
٧٢	وَاعْلَمَ أنَّ الذَّمَّ نَقْصٌ للفتى	ومتى لا يَتَّقِ الذَّمَّ يُـــــذَمْ	"	٢٩٣
٧٣	أُكْرِمُ الجارَ وأرْعى حقَّـهُ	إنَّ عِرْفانَ الفتى الحَقَّ كَـرَمْ	"	٢٩٤
٧٤	أنا بيتي مِنْ مَعَدٍّ في الذُّرى	ولِيَ الهامةُ والفَرْعُ الأشَـمْ	"	٢٩٤
٧٥	لا ترتعي رتعًا في مَجْلِسٍ	في لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبُعِ الضَّرِمْ	"	٢٩٤
٧٦	إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يكْثِرُ لي	حينَ يَلْقاني ، وإنْ غِبْتُ شَتَـمْ	"	٢٩٤
٧٧	وكَلامٍ سيِّئٍ قَدْ وُقِـــرتْ	أُذُني عنْهُ وما بي مِنْ صَـمَمْ	"	٢٩٤
٧٨	فَتَعَزَّيْتُ خَشَاةَ أنْ يَـــرى	جاهِلٌ أنِّي كما كان زَعَـــمْ	"	٢٩٤
٧٩	ولَبَعْضُ الصَّفْحِ والإعراضِ عن	ذي الخَنَا أبْقى وإنْ كان ظَلَـمْ	"	٢٩٤
٨٠	إنَّمَا جادَ بِشَأْسٍ خالـــــدٌ	بعدَ ما حاقَتْ بِهِ إحْدى الظُّلَـمْ	"	٢٩٤
٨١	مُتْرَعُ الجَفْنَةِ رِبْعِيُّ النَّدَى	حَسَنٌ مَجْلِسُهُ غَيْرُ لُطُـــــمْ	"	٢٩٤
٨٢	يَجْعَلُ الْهَنْءَ عطايا جَمَّةً	إنَّ بعضَ المالِ في العِرْضِ أمَمْ	"	٢٩٥
٨٣	لا يُبالي طَيِّبُ النَّفْسِ بِـــهِ	تَلَفَ المالِ إذِ العِرْضُ سَـــــلِمْ	"	٢٩٥
٨٤	أجْعَلُ المالَ لِعِرْضي جُنَّةً	إنَّ خَيْرَ المالِ ما أدَّى الذِّمَـــمْ	"	٢٩٥
٨٥	بَنَيْتُ بِناجٍ مجْدَلاً منْ حجارةٍ	لأجْعَلَهُ عِزًّا على رَغْمِ منْ رَغَمْ	راشد بن شهاب	٣٠٩

١١٥	نُعْطي الْعَشيرَةَ حَقَّها وحَقيقَها	فيها ، ونغْفِرُ ذَنْبَها ونسودُ	"	٣٥٥
١١٦	وَإذا تُحَمِّلُنا الْعشيرَةُ ثِقْلَها	قُمْنا بِهِ. وَإذا تعودُ نعودُ	"	٣٥٥
١١٧	وإذا نُوافِقُ جُرْأَةً أَوْ نَجْدَةً	كُنَّا ، سُمَيَّ ، بها الْعَدُوَّ نكيدُ	"	٣٥٥
١١٨	إذْ بَعْضُهُمْ يَحْمي مراصدَ بيتِه	عَنْ جارِهِ وسبيلُنا موْرودُ	"	٣٥٦
١١٩	قالتْ سُمَيَّةُ:قدْغَوَيْتَ بِأَنْ رأتْ	حَقًّا تَنَاوَبَ مالَنا ووفودُ	"	٣٥٦
١٢٠	غَيٌّ لَعَمْرُكَ لا أزالُ أعودُهُ	ما دامَ مالْعِنْدَنا مَوْجودُ	"	٣٥٦
١٢١	يا نَصْلَ للضيفِ الْغَريبِ وَلِلْـ	جارِ الْمَضيمِ وَحامِلِ الْغُرْمِ	الجُمَيْح الأسدي	٣٦٨
١٢٢	أوْ مَنْ لأشْعَثَ بَعْلِ أرْمَلَةٍ	مِثْلَ الْبَلِيَّةِ سَمْلَةِ الْهُدْمِ	"	٣٦٨
١٢٣	والحارثانِ إلي غاياتهم سَبَقًا	عَفْوًا كما أحرزَ السَّبْقَ الجوادانِ	حاجب بن حبيب	٣٧١
١٢٤	وَالْمُعْطِيانِ ابْتِغاء الحمد مالَهُما	وَالْحَمْدُ لا يُشْترى إلاَّ بِأَثْمانِ	الأسدي	٣٧١
١٢٥	أَجُبَيْلُ إنَّ أباكَ كاربُ يَوْمِهِ	فَإذا دُعيتَ إلى الْعَظائمِ فاعْجَلِ	عبْدُ قَيْسِ بن	٣٨٤
١٢٦	أُوصيكَ إيصاءَ امْرِئٍ لكَ ناصحٍ	طَبِنٍ بِرَيْبِ الدَّهْرِ غَيْرِ مُغَفَّلِ	خُفافٍ	٣٨٤
١٢٧	اللهَ فَاتَّقِه وَأَوْفِ بِنَذْرِه	وَإذا حَلَفْتَ مُمَارِيًا فَتَحَلَّلِ	"	٣٨٤
١٢٨	وَالضَّيْفَ أَكْرِمْهُ فَإنَّ مَبِيتَهُ	حَقٌّ ، ولا تَكُ لُعْنَةً للنُّزَّلِ	"	٣٨٤
١٢٩	وَاعْلَمْ بِأنَّ الضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلَهُ	بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ وَإنْ لَمْ يُسْأَلِ	"	٣٨٤
١٣٠	وَدَعِ الْقَوارِصَ للصَّديقِ وَغَيْرِهِ	كَيْ لا يَرَوْكَ منَ النِّئامِ الْعُزَّلِ	"	٣٨٤
١٣١	وَصِلِ الْمُواصِلَ مَا صَفَا لَكَ وُدُّهُ	وَاحْذَرْ حِبالَ الْخائنِ الْمُتَبَذِّلِ	"	٣٨٥
١٣٢	وَاتْرُكْ مَحَلَّ السَّوْءِ لا تَحْلُلْ بِهِ	وَإذا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ	"	٣٨٥
١٣٣	دارُ الْهَوانِ لِمَنْ رَآها دارَهُ	أَفَراحِلٌ عَنْها كَمَنْ لَمْ يَرْحَلِ	"	٣٨٥
١٣٤	وَإذا هَمَمْتَ بِأَمْرِ شَرٍّ فَانْتَدِلْ	وَإذا هَمَمْتَ بِأَمْرِ خَيْرٍ فَافْعَلِ	"	٣٨٥
١٣٥	وإذا أَتَتْكَ منَ الْعَدُوِّ قَوارِصٌ	فَاقْرُصْ كَذاكَ ولا تَقُلْ لَمْ أَفْعَلِ	"	٣٨٥
١٣٦	وَإذا افْتَقَرْتَ فَلا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا	تَرْجُو الْفَواضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ	"	٣٨٥
١٣٧	وَإذا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَاضْرِبْ فيهِمُ	حَتَّى يَرَوْكَ طِلاءَ أَجْرَبَ مُهْمَلِ	"	٣٨٥
١٣٨	وَاسْتَغْنِ ما أَغْناكَ رَبُّكَ بِالْغِنى	وَعَذا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ	"	٣٨٥
١٣٩	وَاسْتَانِ حِلْمَكَ في أُمورِكَ كُلِّها	وَإذا عَزَمْتَ على الْهَوَى فَتَوَكَّلِ	"	٣٨٥
١٤٠	وَإذا تَشاجَرَ في فُؤادِكَ مَرَّةً	أَمْرانِ فَاعْمَدْ لِلأَعَفِّ الأَجْمَلِ	"	٣٨٥
١٤١	وإذا لَقِيتَ الْباهِشينَ إلى النَّدى	غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقاعٍ مُمْحِلِ	"	٣٨٥
١٤٢	فَأَعِنْهُمُ وَايْسِرْ بِمَا يَسَروا بِهِ	وَإذا هُمُ نَزَلوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ	"	٣٨٥
١٤٣	صَحَوْتُ وَزايَلَني باطِلي	لَعَمْرُ أَبيكَ ، زِيالاً طَويلا	"	٣٨٦

٨٦	أَشَمَّ طُوالاً يَدْحَضُ الطَّيْرُ دونَهُ لَهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَـــدَّتْ لَهُ إِرَمْ	اليشكري	٣٠٩
٨٧	وَأَوي إِلَيْهِ المُسْتَجيرُ منَ الرَّدى ويأوي إليه المستعيضُ منَ العَدَمْ	"	٣٠٩
٨٨	جميعًا،ولسنا،قد علمت،أُشابةً بعيدين منْ نَقْصِ الخلائقِ والْغَدْرِ	"	٣١١
٨٩	فَيَا لَلّهِ لَمْ أكْسِبْ أثامًـــا وَلَمْ أهْتِكْ لِذِي رَحِمٍ حِـــجابَا	الْحَرْثُ بن ظالم	٣١٥
٩٠	فَابْقَتْ لنا آباؤنا منْ تُراثِهِمْ دعائمَ مَجْدٍ كان في النَّاسِ مَعْلَما	الخَصْفيُّ عامر	٣٢٠
٩١	وَنُرْسي إلى جُرْثومةٍ أدْرَكَتْ لنا حَديثًا وَعادِيًّا منَ الْمَجْدِ خِضْرِمَا	المُحاربي	٣٢٠
٩٢	بَنَى مَنْ بنى منهم بناءً فَمَكَّنوا مكانًا لنا منه رَفيعًا وَسُلَّمَـــا	"	٣٢٠
٩٣	أُولَئِكَ قومي إنْ يَكُدْ ببيوتهـــم أخو حَدَثٍ يومًا فَلَنْ يُتَهَضَّمـــا	"	٣٢٠
٩٤	وَكَمْ فيهِمُ منْ سَيِّدٍ ذي مَهابَةٍ يُهابُ إذا ما رائدُ الحربِ أضْرَما	"	٣٢٠
٩٥	لنا الْعِزَّةُ الْقَعْساءُ نَخْتَطِمُ الْعِدى بِها ثُمَّ نَسْتَعْصي بها أنْ نُخَطَّما	"	٣٢٠
٩٦	أُذيقُ الصَّديقَ رأفَتي وإحاطتي وقَدْ يَشْتَكي مِنِّي الْعُداةُ الأباعدُ	ضَمْرَة بن	٣٢٥
٩٧	وَطارقُ لَيْلٍ كنتُ حمَّ مَبيتِـــه إذا قَلَّ في الحَيِّ الجميعُ الرَّوافِدُ	ضمرة النهشلي	٣٢٦
٩٨	وَقُلْتُ لَهُ أهلا وسهلا ومرحبًا وَأكْرَمْتُهُ حتَّى غَدا وهو حـــامدُ	التميمي	٣٢٦
٩٩	وَما أنا بالسَّاعي ليُحْرِزَ نَفْسَهُ ولكنَّني عَنْ عورةِ الْحَيِّ زائدُ	"	٣٢٦
١٠٠	لَعَمْرُكَ إنَّني لأخـــو حفاظٍ وَفي يومِ الْكَريهَةِ غَيْرُ غُمْرِ	عَوْفُ بن عطيّة	٣٢٨
١٠١	أجودُ على الأباعدِ باجْتداءٍ وَلَمْ أحْرِمْ ذَوي قُرْبى وَإصْرِ	بن الخرع	٣٢٨
١٠٢	وما بي ، فَاعْلَمُوهُ ، منْ خُشُوعٍ إلى أحَدٍ ، وما أُزْهَى بِكِبْرِ	التيمي	٣٢٨
١٠٣	أَلَمْ تَرَ أنَّنا مَرْدى حُـــروبٍ نَسيلُ كَأنَّنا دُفَّاعُ بَحْـــرِ	"	٣٢٨
١٠٤	أبَى لبَني خُزَيْمَةَ أنَّ فيهِمْ قَديمُ الْمَجْدِ والْحَسَبُ النُّضارُ	بشر بن أبي	٣٤٢
١٠٥	هُمُ فَضَلوا بِخَلَّاتٍ كِـــرامٍ مَعَدًّا حَيْثُما حَلُّوا وَسَـــاروا	خازم	٣٤٢
١٠٦	فَمِنْهُنَّ الْوَفاءُ إذا عَـــقَدْنا وَأيْسارٌ إذا حُبَّ الْقُتَـــارُ	"	٣٤٢
١٠٧	ثُمَّتَ أطْعَمْتُ زادي،غَيْرَ مُدَّخِرٍ أهْلَ المحلةِ منْ جارٍ ومنْ جادِ	سِنانُ بن أبي	٣٥١
١٠٨	وقَدْ دَفَعْتُ ولمْ أجْرُرْ على أحَدٍ فَتْقَ الْعَشيرةِ والأكْفاءُ شُهَّادي	حارِثَةَ المُرِّيّ	٣٥١
١٠٩	قد يَعْلَمُ الْقَوْمُ ، إذْ طالت غَزاتُهُمْ وأرْمَلوا الزَّادَ أنِّي مُنْفِدٌ زادي	"	٣٥١
١١٠	ولا أجِئُ بِسَوْآتٍ أُعَيِّرُهَـــا حتَّى يؤوبُ منَ الْقَبْرِ ابنُ ميَّادِ	"	٣٥١
١١١	أثْنوا عَلَيَّ فَكائنْ قدْ فَتَحْتُ لَكُمْ منْ بابِ مَكْـــرُمَةٍ تُعْتَدُّ أوْ وادِ	"	٣٥١
١١٢	إنِّي امْرُؤٌ منْ عُصْبَةٍ مَشْهورَةٍ حُشُدٌ ، لهُمْ مجدٌ أشَمُّ تليـــدُ	معاويةُ بن مالك	٣٥٥
١١٣	أَلْفَوْا أباهُمْ سيِّدًا وَأعانَهُـــمْ كَرَمٌ وأعْمامٌ لهُمْ وَجُـــدودُ	بن جعفر	٣٥٥
١١٤	إذْ كُلُّ حَيٍّ نابتٌ بِاَرومَـــةٍ نَبَتَ الْعِضاهِ فَماجِدٌ وَكَسيـــدُ	العامري	٣٥٥

(٢)

الأبيات المستخدمة في الدراسة

أبى لبني خزيمة أن فيهم ... قديمُ المجد والحسبُ النضارُ

أبيٌّ لما آبى سريعٌ مباءتي ∴ إلى كل نفس تنتحي في مسرّتي

أجبيل إن أباك كارب يومه ∴ فإذا دعيت إلى العظائم فاعجل

أجعل المال لعرضي جُنَّة إن خير المال ماأدَّى الذِّمـــم

أجعل مالي دون الدّنا غرضا وما وهى ملأمور فانصدعـا

أجملِ العيشَ إن رزقَك آتٍ ∴ لا يردُّ التَرْقيحُ شرْوَى فتيل

إذا لقيت القوم فاضرب فيهُمُ ∴ حتى يروك طلاء أجرب مهمل

إذا نزل السحاب بأرض قوم ∴ رعيناه وإن كانوا غضابا

آذنت جارتي بوشكِ رحيل ∴ باكراً جاهرت بخطب جليل

أذيق الصديق رأفتي وإحاطتي ... وقد يشتكى مني العداة الأباعد

أزمعت بالفراق لمّا رأتني ∴ أتلف المال لا يُذَمُّ دخيلي

أسُمَيَّ ويحك هل سمعت بغَدْرَة ... رُفِعَ اللّواء لنا بها في مجمع

ألا هلك امرؤ حبّاس مال ∴ على العلاّت متلاف مفيد

ألفوا أباهم سيّداً وأعانهم ∴ كرم وأعمام لهم وجدود

الله فاتقه ، وأوف بنذره ∴ إذا حلفت ممارياً فتحلَّل

ألم ترَ أننا مَرْدَى حروب ∴ نسيل كأننا دُفّاع بحر

أموالنا نقي النفوس بها من كل مايُدْني إليه الـــــذَّم

إن "لا" بعد "نعم" فاحشة ∴ فبـــ"لا" فابدأ إذا خفت الندم

١٤٤	وَأَصْبَحْتُ لا نَزِقًا باللِّحـــاءِ	ولا لِلْحومِ صديقي أكـــولا	عبد قيس بن	٣٨٦
١٤٥	ولا سابقي كاشـــحٌ نازِحٌ	بِذَحْلٍ إذا ما طلبتُ الذُّحـــولا	خفاف	٣٨٦
١٤٦	فَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائبـــا	تِ عِرْضًا بَرِيئاً وَعَضْبًا صَقيلا	"	٣٨٦
١٤٧	وَوَقْعَ لِسانٍ كَحَدِّ السِّنـــانِ	وَرُمْحًا طويلَ الْقَناةِ عَسُـــولا	"	٣٨٦
١٤٨	وَسَابِغَةٍ مِنْ جِيادِ الـــدُّرو	عِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فيها صَلِيـلا	"	٣٨٦
١٤٩	بَلْ كُلُّ قَوْمٍ وَإِنْ عَزُّوا وإن كَثُروا	عَرِيفُهُمْ بِأَثافي الشَّرِّ مَرْجُـومُ	علقمة بن عبدة	٤٠١
١٥٠	والحمدُ لا يُشْتَرى إلاَّ لهُ ثَمَـنٌ	مما يَضِنُ بِهِ الأقوامُ مَـعْلُومُ	"	٤٠١
١٥١	وَالْجودُ نافِيَةٌ لِلْمالِ مَـــهْلَكَةٌ	والْبُخْلُ باقٍ لأهْلِيهِ وَمَذْمُـومُ	"	٤٠١
١٥٢	والمالُ صوفُ قرارٍ يلعبونَ بِهِ	على نِقادتِهِ وافٍ ومَجْلُـــومُ	"	٤٠١
١٥٣	وَمُطْعِمُ الْغُنْمِ يوم الغنم مُطْعَمُهُ	أنَّى تَوَجَّهَ ، وَالْمحروم محرومُ	"	٤٠١
١٥٤	وَالْجَهْلُ ذو عَرَضٍ لا يُسْتَرادُ لَهُ	وَالْحِلْمُ آونَةً في النَّاسِ معدومُ	"	٤٠١
١٥٥	وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبانِ يَزْجُرُهـا	على سلامته لا بُدَّ مَشْـــؤومُ	"	٤٠١
١٥٦	وكُلُّ حِصْنٍ وَإِنْ طالتْ سلامتُهُ	على دعائمِهِ لا بدَّ مهـــدومُ	"	٤٠١
١٥٧	فَلا قومَ إلاَّ نحنُ خَيْرُ سياسةً	وخيرٌ بَقِيَّاتٍ بَقِيـــنَ وأوَّلا	خُراشَةُ بن	٤٠٥
١٥٨	وَاطْوَلُ في دارِ الْحِفاظِ إقامةً	وأرْبَطُ أحلاماً إذا الْبَقْلُ أجْهَلا	عمرو العبسي	٤٠٥
١٥٩	وأكْثَرُ منَّا سَيِّداً وَابْنَ سَـيِّدٍ	وأجدرُ منَّا أنْ يقولَ فَيَفْعَـلا	"	٤٠٥
١٦٠	قُرومٌ نمتنا في فروعٍ قديمةٍ	بِحيثُ امْتِناعُ الْمَجْدِ أنْ يتنقَّلا	"	٤٠٥
١٦١	حُماةٌ غَداةَ الرَّوْعِ يأمنُ سِرْبُنا	إذا دَهِمَ الْوِرْدُ الضَّعيفَ الْمُذَلَّلا	"	٤٠٥
١٦٢	فما زادني الشيبُ إلاَّ نـــدًى	إذا استروحَ الْمُرْضعاتُ الْقُتارا	عوف بن عطية	٤١٣
١٦٣	أُحَيِّي الْخَليلَ وأُعْطي الْجزيلَ	حَياءً وأفعلُ فيهِ الْيَســـارا	التيمي	٤١٣
١٦٤	وَأَمْنَعُ جاري منَ الْمُجْحِفـا	تِ ، والجارُ مُمْتَنِعٌ حيثُ صارا	"	٤١٣
١٦٥	وأعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ مَـــلْبونةً	تَرُدُّ على سائسيها الْحِمـــارا	"	٤١٣
١٦٦	عَفٌّ صَليبٌ إذا ما جُلْبَةٌ أزَمَتْ	مِنْ خيرِ قومِكَ موجودًا ومعدوما	الأسود بن يعفر	٤١٨
١٦٧	واحْلُبْ لأضْيافِكَ أَلْبانَهـــا	فَإِنَّ شَرَّ اللبنِ الْوالـــــجُ	الحارث بن حلِّزة	٤٣٠
١٦٨	يا ذاتَ أجْوارِنا قُومي فَحَيِّينا	وإنْ سَقَيْتِ كِرامَ الناسِ فاسقينا	المُرَقِّش الأكبر	٤٣١
١٦٩	وَإِنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى ومَكْرُمَةٍ	يوماً سَرَاةَ خيارِ الناسِ فادعينا	"	٤٣١
١٧٠	شُعْثٌ مَقادِمُنا نُهْبى مَراجِلُنـــا	نأسو بأمْوالنا آثارَ أيْدينـــا	"	٤٣١
١٧١	المُطْعِمونَ إذا هَبَّتْ شَـآميَّةٌ	وخيرُ نادٍ رَآهُ النَّاسُ نادينـــا	"	٤٣١

قد يعلم القوم ، إذ طالت غزاتهم ∴ وأرملوا الزاد ، أني منفد زادي

قروم نمتنا في فروع قديمة ∴ بحيث امتناع المجد أن يتنقلا

قوم ، إذا صرّحت كَحْلٌ ، بيوتُهُمُ ∴ عزُّ الذليلِ ومأوى كلِّ قُرْضُوبِ

كنا إذا ما أتانا صارخ فزِع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب

لا تراني راتعا في مجلس ∴ في لحوم الناس كالسبع الضرم

لا تقولنَّ إذا ما لم ترد ∴ أن تتم الوعد في شيء نعم

لعمرك إنني لأخو حفاظ ∴ وفي يوم الكريهة غير غمر

لنا العزة القعساء نختطم العدى ∴ بها ثم نستعصي بها أن نُخطما

واحلب لأضيافك ألبانها ∴ فإن شر اللبن الـــوالج

وإذا أتتك من العدو قوارص ∴ فاقرص كذاك ولا تقل لم أفعل

وإذا تشاجر في فؤادك مـــرة ∴ أمران فاعمد للأعف الأجمل

واستبدلت خلة مني وقد علمت ∴ أن لن أبيت بوادي الخسف مذموما

واستغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتجمل

وأطول في دار الحفاظ إقامة ∴ وأربط أحلاما إذا البقل أجهلا

والحمد لا يشترى إلاَّ له ثمن مما يضن به الأقوام معلوم

والمعطيان ابتغاء الحمد مالهما ∴ والحمد لا يُشترى إلَّا بأثمان

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي ∴ ومر إذا نفس العزوف استمرّت

وكنت ، إذا ما الخيل شمَّصها القنا ∴ لبيقا بتصريف القناة بنانيا

ولأنت أجود من خليج مفعم ∴ متراكم الآذي ذي دُفّاعِ

وَلَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي ∴ أنا الليثُ مَعْدُوّاً عَلَيَّ وَعَادِيَا

إنا نعف فلا نريب حليفنا ∴ ونكف شح نفوسنا في المطمع

أو من لأشعث بعل أرملة ∴ مثل البليّةِ سَمِـــلَةِ الْهِـــدْمِ

بل منْ لعذّالةً خذّالةٍ أشبٍ ∴ حَرَّقَ بِاللّوْمِ جِلْدِي أيَّ تَحْراقِ

بل من لعذالة خذالة أشب ∴ حرّق باللوم جلدي أيّ تَحْراق

بنى من بنى منهم بناء فمكنوا ∴ مكانا لنا منه رفيعا وسلما

بنيت بثاج مجدلا من حجارة ∴ لأجعله عزا على رغم من رغم

جميعا ، ولسنا – قد علمْتَ – أشابة ∴ بعيدين من نقص الخلائق والغدر

حسن قول نعم من بعد لا ... وقبيح قول لا بعد نعم

حمّال ألوية ، شهّاد أندية ∴ قوّال محكمة ، جوّاب آفاق

دار الهوان لمن رآها داره ∴ أفراحل عنها كمن لم يرحل

شعث مقادمنا نهبى مراجلنا ... نأسو بأموالنا آثار أيدينا

صبرنا وكان الصبر فينا سجية ... بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما

عجبا ما عجبت للعاقد الما ∴ ل وريبُ الزَّمان جَمُّ الخُبول

عف صليب إذا ما جلبة أزمت ∴ من خير قومك موجودا ومعدوما

فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة ... وإنك لا تبقي بمالك باقيا

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ∴ إذا رد عافي القدر من يستعيرها

فلست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مبتغ من رهبة الموت سلما

فما زادني الشيب إلا ندى ∴ إذا استروح المرضعات القُتارا

في إخوة جمعوا ندىً وسماحةً ∴ هُضُمُ إذا أزَمَ الشتاءِ تزَعَّبا

قد أصبح الحبل من أسماء مصروما ... بعد ائتلاف وحب كان مكتوما

(٣)

أسماء الشعراء الواردين بالدراسة

الأسود بن يعفر النهشلي

أفنون التغلبي

الجميح الأسدي

الحادرة

الحارث بن حلزة

الحصين بن الحمام المرّي

الخصفي عامر المحاربي

الشنفرى

المثقب العبدي

المرقش الأصغر

المرقش الأكبر

المسيب بن علس

(امرأة من بني حنيفة)

بشر بن أبي خازم

بشر بن عمرو بن مرثد البكري

تأبط شرا

حاجب بن حبيب الأسدي

خراشة العبسي

ذو الإصبع العدواني

راشد بن شهاب اليشكري

سلامة بن جندل السعدي التميمي

سنان بن أبي حارثة المرّي

ضمرة بن ضمرة النهشلي التميمي

عبد قيس بن خفاف

عبد يغوث بن وقاص الحارثي

وما أنا بالساعي ليحرز نفسه ∴ ولكنني عن عــورة الحي ذائد

وما بي ، فاعلموه ، من خشوع ∴ إلى أحد ، وما أُزْهَى بكِبْرِ

ونرسي إلى جرثومة أدركت لنا ∴ حديثا وعاديا من المجد خضرما

ونقي بآمن مالنا أحسابنا ونجر في الهيجا الرماح وندَّعي

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا ∴ زمنا ويظعن غيرنا للأمرع

يا ذات أجوارنا قومي فحيينا ∴ وإن سقيت كرام القوم فاسقينا

يا عمرو لو لنت لي ألفيتني يَسَرا ∴ سمحا كريما أجازي من يجازيني

يقولُ أهلكتَ مالاً لو قنعتَ به ∴ من ثوبِ صدقٍ ومن بزٍّ وأعلاقِ

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

١- القرآن الكريم

٢- المفضل الضبي-المفضليات- تحقيق:أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف - القاهرة - ط/ ٦ _ د.ت

المراجع :

١- إبراهيم عصمت مطاوع (دكتور) - علم النفس وأهميته في حياتنا- دار المعارف- سلسلة: اقرأ- ١٩٨١

٢- ابن أبي عون - التشبيهات - تحقيق : محمد عبد المعيد خان - مطبعة جامعة كمبردج - د.ت

٣- ابن الأثير ، ضياء الدين - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تقديم وتعليق : د.أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة - نهضة مصر - القاهرة -١٩٧٣

٤- ابن الأنباري ، أبو محمد القاسم بن محمد - ديوان المفضليات - تحقيق : كارلوس لايل - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩٢٠

٥- ابن جني ، أبو الفتح عثمان - الخصائص - تحقيق : د.محمد علي النجار - دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٥٧

٦- ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون- تحقيق: حامد أحمد طاهر- دار الفجر للتراث- القاهرة- ٢٠٠٤

٧- ابن سلام الجمحي ، محمد - طبقات فحول الشعراء - تحقيق : محمود محمد شاكر - مكتبة المدني- جدة - د ت

٨- ابن مسكويه- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- تحقيق:ابن الخطيب- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- ط١/دت

٩- ابن منظور- لسان العرب- نسقه وعلق عليه: علي شيري- دار إحياء التراث العربي- بيروت- بيروت- ط١/١٩٨٨

علقمة بن عبدة التميمي
عوف بن الأحوص
عَوْف بن عطية بن الخرع التيمي
معاوية بن مالك بن جعفر العامري

٢٣- الفارابي ، أبو نصر- كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة- تعليق: د.ألبير نصري نادر- دار المشرق- بيروت- ط٢/١٩٨٦
٢٤- الفيروزآبادي ، مجد الدين- القاموس المحيط دار الحديث- القاهرة- دت
٢٥- الكفوي ، أبوالبقاء أيوب بن موسى- الكليات- مؤسسة الرسالة - بيروت- ط٢/١٩٩٨
٢٦- المفضل بن سلمة بن عاصم ، أبوطالب - الفاخر - تحقيق:عبد العليم الطحاوي- عيسى البابي الحلبي- القاهرة -١٣٨٠ هـ
٢٧- أندريه لالاند- موسوعة لالاند الفلسفية- تعريب:خليل أحمد خليل- منشورات عويدات- بيروت- ط٢/٢٠٠١
٢٨- أومبرتو إيكو - القارئ في الحكاية - ترجمة : أنطوان أبو زيد- المركزالثقافي العربي- الدار البيضاء/بيروت ١٩٩٦
٢٩- جميل صليبا (دكتور) - المعجم الفلسفي- دار الكتاب اللبناني- ١٩٨٢
٣٠- جواد علي (دكتور) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام- جامعة بغداد- ط٢/١٩٩٣
٣١- جيمس مونرو- النظم الشفهي في الشعر الجاهلي- ترجمة:د.فضل بن عمار العماري- الأصالة للثقافة والنشر-الرياض- ط١/١٩٨٧
٣٢- حسين الشيخ (دكتور) - العرب قبل الإسلام- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- ١٩٩٣
٣٣- رمضان عبد التواب (دكتور) - التطور اللغوي - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط : ٢ - ١٩٩٠
٣٤- رومان جاكوبسون - قضايا الشعرية - ترجمة:محمد الولي ومبارك حنون- دار توبقال- الدار البيضاء- ط١ /١٩٨٨
٣٥- ستيفن أولمان - دور الكلمة في اللغة - ترجمة: د.كمال بشر - مكتبة الشباب - القاهرة - د.ت
٣٦- سعد الدين التفتازاني وآخرون - شروح التلخيص - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت
٣٧- سعد مصلوح (دكتور) - في النص الأدبي ؛ دراسة أسلوبية إحصائية- كتاب النادي الأدبي بجدة٦٥/١٩٩١
٣٨- سميح دغيم (دكتور) - موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي- مكتبة لبنان- ط١/٢٠٠٠

١٠- ابن هشام الأنصاري – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – تحقيق : د.عبد اللطيف محمد الخطيب – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – السلسلة التراثية (٢١) – الكويت – ط١/٢٠٠٢

١١- أحمد أمين- فجر الإسلام- دار الكتاب العربي- بيروت- ط١٠/١٩٦٩

١٢- أحمد مطلوب (دكتور) – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها – مطبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد- ١٩٨٣

١٣- الأزهري ، محمد الدمشقي- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية- دار ابن كثير- بيروت- دت

١٤- الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر- تهذيب الأخلاق- تعليق: إبراهيم محمد- دار الصحابة للتراث- طنطا- ط١/١٩٨٩

١٥- الجرجاني ، علي بن محمد الشريف- كتاب التعريفات- مكتبة لبنان- ١٩٨٥

١٦- الجوهري ، إسماعيل بن حماد- الصحاح- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- ط٢/١٩٧٩

١٧- الخطيب التبريزي – شرح اختيارات المفضل – تحقيق : د.فخر الدين قباوة – الكتب العلمية – بيروت ط/٢-١٩٨٧

١٨- الخطيب القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن- الإيضاح في علوم البلاغة ؛ المعاني والبيان والبديع- وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- دت

١٩- الزجاجي ، عبد الرحمن بن إسحاق – كتاب اللامات – تحقيق : مازن المبارك – دار الفكر – دمشق – ط٢ /١٩٨٥

٢٠- السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على- مفتاح العلوم- حققه:د. عبد الحميد هنداوي- دارالكتب العلمية – بيروت- ط١/٢٠٠٠

٢١- السيد محمد البدوي (دكتور) – الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية- ٢٠٠٠

٢٢- الغزالي، الإمام أبوحامد- إحياء علوم الدين- تقديم: د.بدوي طبانة- مكتبة كرياطة فوترا- سماراغ- إندونيسيا-دت

٥٣- محمد عبد المطلب (دكتور) - البلاغة والأسلوبية- مكتبة لبنان والشركة المصرية للنشر لونجمان- القاهرة- ط١/١٩٩٤

٥٤- محمد غنيمي هلال (دكتور)- النقد الأدبي الحديث- نهضة مصر- ١٩٩٧

٥٥- محمد مفتاح (دكتور) - في سيمياء الشعر القديم- دار الثقافة- الدار البيضاء-١٩٨٩

٥٦- محمود عرفة محمود (دكتور) - العرب قبل الإسلام- عين للدراسات والبحوث- القاهرة- ط١/١٩٩٥

٥٧- منذر عياشي (دكتور)- الأسلوبية وتحليل الخطاب- مركز اللإنماء الحضاري- بيروت- ط١/٢٠٠٢

٥٨- منى أحمد أبوزيد (دكتورة) - مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية،دراسة مقارنة في فكر ابن سينا- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت- ط١/١٩٩١

٥٩- وليام ليلي - مقدمة في علم الأخلاق- ترجمة: د.علي عبد المعطي محمد- منشأة المعارف- الإسكندرية-٢٠٠٠

٦٠- يوسف حامد الشين (دكتور) - الفلسفة المثالية،قراءة جديدة لنشأتها وتطورها وغاياتها-منشورات جامعة قاريونس- بنغازي- ط١/١٩٩٨

٦١- The Cambridge Dictionary of Sociology - General Editor; Bryan S Turner- Cambridge University Press

٣٩- شكري المبخوت – نظرية الحجاج في اللغة – ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم – إشراف: حمادي صمود – كلية الآداب – جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية – منوبة (تونس) – د.ت
٤٠- عباس حسن- النحو الوافي-دار المعارف بمصر- ط٣/١٩٧٤
٤١- عبد السلام هارون- الأساليب الإنشائية في النحو العربي-مكتبة الخانجي- القاهرة- ط٥/٢٠٠١
٤٢- عبد العزيز قلقيلة (دكتور) – البلاغة الاصطلاحية – دار الفكر العربي – القاهرة – ط٣/١٩٩٢
٤٣- عبد القاهر الجرجاني – أسرار البلاغة – قرأه وعلق عليه:أبوفهر أحمد محمد شاكر- دار المدني بجدة- ١٩٩١
٤٤- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- قرأه وعلق عليه: أبوفهر محمود محمد شاكر- مكتبة الخانجي- القاهرة- ١٩٨٤
٤٥- علي أبو المكارم (دكتور) – الجملة الفعلية- مؤسسة الختار للنشر والتوزيع- القاهرة- ط١/٢٠٠٧
٤٦- علي توفيق الحمد (دكتور) ويوسف جميل الزعبي – المعجم الوافي في أدوات النحو العربي – دار الأمل – إربد – الأردن – ط/ ٢ – ١٩٩٣
٤٧- فاضل صالح السامرائي (دكتور) – الجملة العربية- دار الفكر-عمّان-ط٢/٢٠٠٧
٤٨- قدامة بن جعفر- نقد الشعر – تحقيق وتعليق : د.محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت
٤٩- كامل محمد عويضة (دكتور) – علم النفس- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١/١٩٩٦
٥٠- مجمع اللغة العربية- المعجم الفلسفي- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ١٩٨٣
٥١- مجمع اللغة العربية- معجم علم النفس والتربية- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ١٩٨٤
٥٢- محمد بلوحي (دكتور) – الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية- http://uqu.edu.sa/page/ar/86000